الشبهات المثارة حول أحاديث التخلق ومراحلة

مراحل خلق الجنين والشبهات المثارة حول أحاديثه

أحاديث مراحل خلق الجنين

المبحث الأول: تخريج أحاديث تخلق الجنين

المطلب الأول: نصوص الأحاديث.

المطلب الثاني: التخريج.

المبحث الثاني: شرح حديث ابن مسعود، والرد على الشبهات.

المطلب الأول: الفاظ حديث ابن مسعود ﵁ الجمع بينها وبيان معانيها.

المطلب الثاني: مراحل خلق الانسان، وفيه مسائل:

- أقوال شراح الحديث في معنى الحديث والجمع بين ألفاظهما.
- مراحل خلق الانسان في حديث ابن مسعود وحذيفة ﵄.

المطلب الثالث: شبهات أخرى حول مراحل تخلق الجنين.

المبحث الأول: تخريج أحاديث تخلق الجنين

أولاً: نص الأحاديث.

ثانياً: التخريج.

المبحث الأول: تخريج أحاديث تخلق الجنين

المطلب الأول : نصوص الأحاديث .

أولاً: حديث ابن مسعود عند البخاري.

عن عبد الله بن مسعود ﵁، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها** ».(١)

ثانياً: حديث ابن مسعود ﵁ عند مسلم:

عن عبد الله ﵁، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها**»(٢)

---

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة (٤/ ١١١ رقم: ٣٢٠٨)، كتاب خلق الانبياء باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (٤/ ١٣٣ رقم: ٣٣٣٢)، كتاب القدر باب في القدر صحيح البخاري (٨/ ١٢٢ رقم: ٦٥٩٤)، كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ [الصافات: ١٧١] (٩/ ١٣٥ رقم: ٧٤٥٤).

(٢) صحيح مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٤/ ٢٠٣٦ رقم: ٢٦٤٣).

ثالثاً: حديث حذيفة ﵁

عن حذيفة بن أسيد الغفاري ﵁، فقال: سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين، يقول: «**إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة، ثم يتصور عليها الملك**» قال زهير: حسبته قال الذي يخلقها " **فيقول: يا رب أذكر أو أنثى، فيجعله الله ذكرا أو أنثى، ثم يقول: يا رب أسوي أو غير سوي، فيجعله الله سويا أو غير سوي، ثم يقول: يا رب ما رزقه ما أجله ما خلقه، ثم يجعله الله شقيا أو سعيدا**»(١).

وفي لفظ: «**إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص**»(٢).

رابعاً حديث ثوبان:

ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه قال: كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي**»..... الحديث(٣).

خامساً حديث أبي سعيد الخدري ﵁:

(١) صحيح مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٤/ ٢٠٣٨ رقم: ٢٦٤٥).

(٢) صحيح مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٤/ ٢٠٣٨ رقم: ٢٦٤٥).

(٣) سياتي الحديث بتمامة في المبحث الثالث.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ: «**ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء، لم يمنعه شيء**»[1].

المطلب الثاني: التخريج

هذه الأحاديث رواها الإمامان البخاري ومسلم ﷺ في صحيحيهما، والذي أجمعت الأمة على تلقيهما بالقبول، وصحة ما فيهما.

وقد أخرج حديث ابن عباس وحديث حذيفة ﷺ غير البخاري ومسلم، من أصحاب السنن والمسانيد، والمعاجم، بأسانيد وطرق كثيرة متضافرة لا إشكال فيها.

أما حديث ابن مسعود ﷺ فأخرجه غير الشيخان كلاً من: أبو داود[2]، والترمذي[3]، والنسائي[4]، وابن ماجه[5]، ومعمر بن راشد[6]، وأبو داود الطيالسي[7]، والحميدي[8]، وابن الجعد[9]، والإمام أحمد[10]، والدارمي[11]، وابن أبي عاصم[12]،

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٠٦٤رقم:١٤٣٨).
(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٢٨ رقم: ٤٧٠٨).
(٣) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٤٤٦ رقم: ٢١٣٧).
(٤) السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ١٣٠ رقم: ١١١٨٢).
(٥) سنن ابن ماجه (١/ ٢٩ رقم: ٧٦).
(٦) جامع معمر بن راشد (١١/ ١٢٣ رقم: ٢٠٠٩٣).
(٧) مسند أبي داود الطيالسي (١/ ٢٣٨ رقم: ٢٩٦).
(٨) مسند الحميدي (١/ ٢٢١ رقم:١٢٦).
(٩) مسند ابن الجعد (ص: ٣٧٩ رقم: ٢٥٩٤).
(١٠) مسند أحمد (٦/ ١٣ رقم: ٣٥٥٣)، (٦/ ١٢٥رقم: ٣٦٢٤)، (٧/ ٤٨ رقم: ٣٩٣٤)، (٧/ ١٦٩ رقم: ٤٠٩١).
(١١) الرد على الجهمية للدارمي (ص: ١٥٠ رقم: ٢٦٩)، (ص: ١٥١ رقم: ٢٧٠).
(١٢) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٧٧ رقم: ١٧٥-١٧٦).

والبزار[1]،وأبو يعلى[2] والطحاوي[3]، والشاشي[4]،، وابن الأعرابي[5]، وابن حبان[6]، والآجري[7]، والطبراني[8]، والبيهقي[9]، عن ابن مسعود ﵁.

وأما حديث حذيفة بن أسيد فأخرجه: الحميدي[10]، وابن أبي شيبة[11]، والإمام أحمد[12]، وابن أبي عاصم[13]، والطحاوي[14]، والآجري[15]، والطبراني[16]، والبيهقي[17]، عن حذيفة بن أسيد ﵁.

وبضم ألفاظ الحديث بعضها إلى بعض يتضح المقصود من الحديث، ذلك أن بعض رواة الحديث قد رواه بالمعنى فظهر معنى الحديث غير مكتمل، أو على غير المراد

---

(١) مسند البزار = البحر الزخار (٤/ ٢٨٠ رقم: ١٤٤٧)، (٤/ ٣٥١ رقم: ١٥٥١)، (٥/ ١٧٠ رقم: ١٧٦٦)

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٩/ ٨٩ رقم: ٥١٥٧).

(٣) شرح مشكل الآثار (٩/ ٤٧٩ رقم: ٣٨٦١)، (٩/ ٤٨٢ رقم: ٣٨٦٦)، (٩/ ٤٨٣ رقم: ٣٨٦٧- ٣٨٦٨-٣٨٦٩-٣٨٧٠).

(٤) المسند للشاشي (٢/ ١٤٠ رقم: ٦٨٠)، (٢/ ١٤١ رقم: ٦٨١)، (٢/ ١٤٢ رقم: ٦٨٣-٦٨٤)

(٥) معجم ابن الأعرابي (٢/ ٥٠٢ رقم: ٩٧٦)، (٢/ ٦٣٠ رقم: ١٢٤٦)، (٢/ ٧٦٠ رقم: ١٥٣٦).

(٦) صحيح ابن حبان (١٤/ ٤٧ رقم: ٦١٧٤).

(٧) الشريعة للآجري (٢/ ٧٧٧ رقم: ٣٥٨).

(٨) المعجم الأوسط (٢/ ٢٠١ رقم: ١٧١٧)، المعجم الصغير للطبراني (١/ ١٣٣ رقم: ٢٠٠)، (١/ ٢٦٩ رقم: ٤٤٢)،

(٩) السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٦٩١ رقم: ١٥٤٢١)، (٧/ ٦٩٢ رقم: ١٥٤٢٤)، (١٠/ ٤٤٩ رقم: ٢١٢٨٠).

(١٠) مسند الحميدي (٢/ ٧٥ رقم: ٨٤٨).

(١١) مسند ابن أبي شيبة (٢/ ٣١٨ رقم: ٨١٨).

(١٢) مسند أحمد مخرجا (٢٦/ ٦٤ رقم: ١٦١٤٢).

(١٣) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٢/ ٢٥٧ رقم: ١٠١٠، ١٠١١)، السنة لابن أبي عاصم (١/ ٨٠ رقم: ١٨٠)،

(١٤) شرح مشكل الآثار (٧/ ٩٢ رقم: ٢٦٦٣).

(١٥) الشريعة للآجري (٢/ ٧٧٩ رقم: ٣٦٠).

(١٦) المعجم الأوسط (٢/ ١٤٨ رقم: ١٥٣٥)، المعجم الكبير للطبراني (٣/ ١٧٥ رقم: ٣٠٣٨)، (٣/ ١٧٦ رقم: ٣٠٣٩)، (٣/ ١٧٦ رقم: ٣٠٤٠)، (٣/ ١٧٦ رقم: ٣٠٤١)، (٣/ ١٧٨ رقم: ٣٠٤٤)،

(١٧) السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٦٩٢ رقم: ١٥٤٢٣).

منه، وهذا لا إشكال فيه لدى أهل الاختصاص، فقد يضبط بعض الراوي مالا يضبط غيره وبجمع الروايات يرتفع الاشكال، قال الإمام أحمد: " «الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه والحديث يفسر بعضه بعضا»(١).

وقال علي ابن المديني: "الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه"(٢).

وسيأتي جمع ألفاظ حديث ابن مسعود ﷺ، وبيان ما فيها.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢١٢).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢١٢).

المبحث الثاني: شرح حديث ابن مسعود، والرد على الشبهات الواردة عليه.

المطلب الأول: ألفاظ الحديث الجمع بينها وبيان معانيها.

قوله: "وهو الصادق المصدوق" الصادق أي في قوله والمصدوق أي فيما وعده به ربه[١]، وقيل: المصدوق أَي فِيمَا يَأْتِيهِ من الْوَحْي الْكَرِيم[٢].

"**النُطفة**": النطفة بالضم الماء الصفي قل أو كثر فمن القليل نطفة الإنسان[٣].

"**عَلَقة**": العلق الدم الغليظ والقطعة منه علقة[٤]، والعلقة كما يقول المفسرون: قطعة دم جامدة، أو دم متجلط متجمد، وسميت بذلك للالتصاق والتعلق الذي يحصل منها في الرحم[٥].

"**مضغة**": المضاغ كل ما يمضغ، والمضاغة ما يبقى في الفم مما تمضغه، وتطلق على قطعة اللحم، وقلب الانسان مضغة من جسده، والمضغة كل لحم يُخلق من علقةٍ، قال العيني: "قطعة من اللحم قدر ما يمضغ"[٦].

لقد جاء حديث ابن مسعود ﵁ عند الإمام البخاري مجملاً، وعند مسلم مفصلاً بزيادة صحيحة توضح مجمل رواية البخاري، وهي قوله «**في ذلك**» فجمع الخلق يتم في أربعين يوماً، وذكر العلقة والمضغة يتم من قبيل التفصيل لهذا المجمل، ويدل على ذلك

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٠٩).

(٢) شرح السيوطي على مسلم (٦/ ٦).

(٣) تاج العروس (٢٤/٤١٩).

(٤) مختار الصحاح (١/٢١٦).

(٥) علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة(١/٣٣).

(٦) ينظر: العين للفراهيدي (٤/٣٧٠)، عمدة القار

الأحاديث الصحيحة عند مسلم والامام أحمد التي تحدد مدة جمع الخلق في اثنين وأربعين يوماً، وهذا ما أكده العلم الحديث.

الحديث صحيح سنداً ومتناً باتفاق النقاد، فأنى يكون لبعض الجهال أن يزعموا شذوذه.

ولا تعارض بين هذا الحديث الصحيح وبقية الأحاديث، وسيأتي مزيد بيان وتفصيل.

المطلب الثاني: مراحل خلق الانسان، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أقوال شراح الحديث في معنى الأحاديث والجمع بينها.

تباينت تفسيرات العلماء لهذه الأحاديث، فذهب بعضهم بأن المراد جمع الخلق في أربعين يوماً، وأن مرحلة العلقة تكون في الأربعين الثانية، وأن مرحلة المضغة بعد العلقة تكون في الأربعين الثالثة، ثم ينفخ الروح بواسطة الملك بعد الأربعين الثالثة التي هي مائة وعشرون يوماً.

وفسروا رواية مسلم بأن اسم الإشارة «**في ذلك**» يعود على بطن الأم، و«**مثل ذلك**»، إلى مدة الأربعين يوماً، كأنه قيل: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك البطن مضغة أربعين يوماً، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات.

ومما ساهم في فهم الحديث على النحو الذي أشرنا إليه سابقاً هو: وظيفة حرف العطف (ثم) الترتيب والتراخي، فتبعا لوظيفتها على (العلقة) أن تتبع زمنيا(جمع الخلق)، وعلى (المضغة) أن تتبع (العلقة).

هذا ما فهمه شراح الحديث النبوي وهو التفسير الأول للحديث، ومعلوم أنهم مجتهدون، وهم بذلك معَرَّضون للصواب والخطأ، والمعصوم من الخطأ هو الصادق المصدوق ﷺ، فهذا اجتهاد منهم وهم مجازون عليه خيراً.

وذهب بعضهم وهم الطرف الأخر إلى تفسير آخر يخالف ذلك، ذلك أن الحديث محتمل لعدة أوجه، فالزيادة في نص مسلم زيادة ثقة، وهي لراو واحد، ولم يذكرها البخاري، وهو اسم الإشارة «في ذلك» أي في خلال المدة نفسها، مما يعني أن المراحل الثلاث تتم جمعها في الأربعين الأولى.

ومما يؤيد ذلك ما ذكره النووي في شرحه لصحيح مسلم، قال: «**ثم يبعث أليه الملك فيؤذن فيكتب**» معطوف على قوله: «**يجمع في بطن أمه**» ومتعلق به لا بما قبله، وهو قوله «**ثم يكون مضغة مثله**»، ويكون قوله:«**ثم يكون علقة مثله، ثم يكون مضغة مثله**» معترضاً

بين المعطوف والمعطوف عليه وذلك جائز موجود في القرآن والحديث الصحيح وغيره من كلام العرب"(١).

فتفسير النص يكون أن جمع الخلق في أربعين يوماً، والعلقة يجتمع خلقها في ذلك الأربعين، فيكون جمع الخلق في مرحلتين: الأولى العلقة، والثانية مضغة، وكلاهما في أربعين يوماً.

وليس جمع الخلق هو مرحلة من المراحل الثلاث كما قال بعض العلماء السابقون رحمهم الله.

فإذا تأملنا قوله ﷺ «**يجمع خلقه**» في إطار اللغة العربية، نجد أنه بمعنى: يتقن ويحكم، والبيان لهذا المعنى يعطي صورة واضحة لمعنى الحديث، حيث يتغير مجريات تفسير الجمهور، ولا يفسر الحديث إلا من خلال أطر اللغة العربية التي تحدد النصوص القرآنية والحديثية.

وبناء على رواية ابن مسعود رضي الله عنه فخلق الجنين يجمع خلال الأربعين يوماً الأولى من عمره، وأطواره النطفة والعلقة والمضغة، تتم وتكتمل خلال هذه الأربعين"(٢).

وما يؤكد ذلك الأحاديث الأخرى مثل حديث حذيفة بن أسيد المتقدم، الذي رواه مسلم وغيره: «**إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص**».

فالنص المجمل يبقى على إجماله، حتى يأتي نص آخر مبين، فيحمل عليه وهذا ما اتفق عليه علماء الاصول.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٩١).

(٢) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن الكريم، ابن الزملكان، (ص٢٧٥) نقلاً عن "أطوار الجنين ونفخ الروح" د.عبدالجواد الصاوي، أبحاث مؤتمر الهية العالمية للإعجاز العلمي في القران والسنة(ص:٧٢).

فإنه لما كان اسم الإشارة "مثل ذلك" لفظاً يمكن صرفه إلى واحدٍ من ثلاثة أشياء ذكرت قبله في الحديث، وهي: جمع الخلق، وبطن الأم، وأربعين يوماً -فهو لفظ مجمل يحمل على اللفظ المبين للمقصود من اسم الإشارة في قوله، والذي بين لنا ذلك حديث حذيفة ﷺ الذي يمنع مضمون أن يعود اسم الإشارة على الفترة الزمنية (أربعين يوماً)، ولا يصح أن يعود اسم الاشارة على (بطن الأم) لأن تكراره في الحديث لا يفيد معنى جديدا.

فإنه لما كان ذلك تعين –بناءً عليه– أن يعود اسم الإشارة في قوله (مثل ذلك) على جمع الخلق لا على الأربعينات[١].

---

(١) إعجاز القران فيما تخفيه الارحام، كريم نجيب الأغر، (ص:٤٢٧-٤٢٩).

المسألة الثانية: مراحل خلق الانسان في حديث ابن مسعود، والإشكال المورد على ذلك

من أحسن من تكلم على هذا الموضوع أحمد هارون الخولي في رسالة علمية(١) له حيث قال:

إن المتأمل لحديث ابن مسعود ﵁ يجد أن خلق الإنسان يمر بثلاث مراحل، وهي مرحلة النطفة والعلقة والمضغة وإرسال الملك، لينفخ فيه الروح ويكتب الرزق والأجل والشقاوة، والسعادة.

أولاً: مرحلة النطفة.

والمراد بالنطفة: المني، فالمرحلة الأولى من خلق الإنسان وهي النطفة أي القليل من الماء المجتمع من الرجل والمرأة.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة النحل:٤].

أي أنه خلق الإنسان من نطفة، وهي مني الرجل ومني المرأة؛ بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الإنسان:٢]، أي أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة(٢).

وقوله ﷺ: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً**» فسره ابن مسعود ﵁ بقوله: "إن النطفة إذا وقعت في الرحم طارت في شعر وظفر فتمكث أربعين يوما، ثم تنحدر في الرحم فتكون علقة"(٣)، قال ابن دقيق العيد: "وقال بعض العلماء: معنى قوله:

(١) رسالة علمية بعنوان: مسائل العقيدة في حديث: «إن أحدكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا) في الجامعة الاسلامية بغزة عام ٢٠١٤م.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٣٣٠).

(٣) فتح القدير للشوكاني وعزاه لابن أبي حاتم ولم أجده في تفسيره (٣/ ٥٦٧).

إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه" أن المني يقع في الرحم متفرقا فيجمعه الله تعالى في محل الولادة من الرحم في هذه المدة"(١).

وعن ابن مسعود قال: "إذا وقعت النطفة في الرحم، بعث الله ملَكا فقال: يا ربّ مخلقة، أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلَّقة، مجّتها الأرحام دما، وإن قال: مخلقة، قال: يا ربّ فما صفة هذه النطفة، أذكر أم أنثى؟ ما رزقها ما أجلها؟ أشقيّ أو سعيد؟ قال: فيقال له: انطلق إلى أمّ الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة! قال: فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها"(٢).

وقد وقع خلاف بين العلماء حول مدة اكتمال الجنين في بطن أمه باختلاف فهمهم لأحاديث النبي ﷺ فمن العلماء من قال أنه يكون بعد مائة وعشرون يوماً، ومنهم من قال في الأربعين الأولى وهو الرأي الصحيح الذي يتوافق مع مجموع الأحاديث، ويؤيده قول علماء الأجنة، والتشريح الغربيين والمسلمين، وبجمع حديث ابن مسعود رضي الله عنه وحديث حذيفة رضي الله عنه، يتبين أن ذلك هو الأقرب للصواب.

ثانياً: مرحلة العلقة

وهي المرحلة الثانية من مراحل خلق الإنسان الواردة في حديث ابن مسعود رضي الله عنه بعد مرحلة النطفة أو التكوين المنوي كما أطلق عليه بعض العلماء، لأن في بعض هذه المراحل يعلق الجنين في رحم أمه.

فقد عرف أهل اللغة العلقة بقولهم: "العلق الدم الغليظ والقطعة منه علقة والعلقة أيضاً دودة في الماء تمص الدم، والجمع (علق)، وعلقت المرأة حبلت(٣).

والعلقة كما يقول جميع المفسرين: قطعة جامدة، أو دم متجلط متجمد(٤).

---

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ٣٧).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٥٦٧/١٨- ٥٦٨)

(٣) مختار الصحاح (٢١٦/١).

(٤) شرح الاربعين النووية، لعطية سالم دروس صوتية (الشريط: ٦/١٥).

قال الشيخ عطية سالم: "ويخالف في ذلك علماء الأجنة فيقولون: العلقة ليست قطعة دم جامدة، ولا يمر بالجنين فترة تجمد قط، إنما العلقة: من العلوق؛ لأن الجنين بعد فترة النطفة يعلق بجدار الرحم"(١).

وقيل: "علقة مشتقة من علق والتي تعني الالتصاق والتعلق"(٢).

ويشهد لذلك قول العيني: "ثمَّ علقَة" مثل ذَلِك وَفِي رِوَايَة آدم ثمَّ يكون علقَة مثل ذَلِك يَعْنِي مُدَّة الْأَرْبَعين والعلقة الدَّم الجامد الغليظ سميت بذلك للرطوبة الَّتِي فِيهَا وتعلقها بِمَا مر بهَا"(٣).

وما يميز هذه المرحلة هو الانتقال من الصورة المنوية إلى حالة التشكل، قال ابن حجر: " فإن العلقة وإن كانت قطعة دم لكنها في هذه الأربعين الثانية تنتقل عن صورة المني ويظهر التخطيط فيها ظهورا خفيا على التدريج"(٤).

وعلى ما وقع من خلاف بين العلماء ﷺ حول هل خلق الإنسان بالمراحل الثلاث بمجملها مائة وعشرون يوماً، أو القول بأن مراحل الخلق الأولى النطفة والعلقة والمضغة تتكون في الأربعين الأولى، رغم ذلك إلا أنهم متفقون على أن مراحلة العلقة هي مرحلة تكون وتغيُّر وتشكل للجنين، كما ذكر ذلك ابن حجر، وكما أشار الباحثون في مؤتمر علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة(٥).

وإذا نظرنا إلى المعاني التي تدل عليها هذه الكلمة هي ثلاثة معاني:

١- ما يدل على التعلق والتشبث.

---

(١) شرح الأربعين النووية لعطية سالم (١٥/ ٦).

(٢) علم الأجنة في ضوء القران والسنة، ومن أبحاث المؤتمر العالمي للإعجاز العلمي في القران والسنة، المنعقد في باكستان في الفترة (٢٥-٢٨ صفر سنة ١٤٠٨هـ التخلق البشري طورا العلقة والمضغة، لـ كيث .ل.مور. وعبد المجيد الزنداني، ومصطفى أحمد (٣٣/١).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/ ١٤٦).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٨٢).

(٥) انظر: علم الأجنة في ضوء الكتاب والسنة ٣٣/١.

٢- ما يشبه دودة العلق.

٣- اللحمة المتجمعة غير المشكلة والذي يكون ظاهرها مثل الدم المتجمع.

وإذا نظرنا إلى الجنين في هذه المرحلة نجد أنه قريب من هذه الأوصاف كلها، إلا أنه أقرب إلى بعضها.

ثالثاً: مرحلة المضغة

وقد عرف أهل اللغة المضغة بقولهم: مضغ: المضاغ: كل ما يمضغ. والمضاغة: ما يبقى في الفم مما تمضغه. والمضغة: قطعة لحم، وقلب الإنسان مُضغة من جسده، والمضغةُ: كل لحم يخلق من علقة، وكل لحمة يفصل بينها وبين غيرها عرق فهي مَضيغةٌ"(١) .

قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [سورة المؤمنون:١٤]، فجعلنا ذلك الدم مضغة، وهي القطعة من اللحم"(٢)، وقوله ﷺ: «**ثم يكون مُضغة مثل ذلك**» قال العيني رحمه الله: "وهي قطعة من اللحم قدر ما يمضغ"(٣)

فأقوال أهل اللغة وشراح السنة والمفسرين أن المضغة هي قطعة لحم قدر ما يمضغ في الفم أو يلوكه اللسان.

وتنقسم المضغة إلى مخلقة وغير مخلقة، قال تعالى: ﴿مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [سورة الحج:٥].. قال ابن رجب: "اختلف السلف في تأويل قول الله عز وجل: ﴿مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [سورة الحج:٥]. فقال مجاهد هي المضغة التي تسقطها المرأة؛ منها ما هو مخلق فيه تصوير وتخطيط، ومنها ما ليس بمخلق ولا تصوير فيه، أرى الله تعالى ذلك عباده ليبين لهم أصل ما خلقوا منه، والذي يقره في الأرحام هو الذي يتم خلقه ويولد".

---

(١) العين: للفراهيدي (٣٧٠/٤).

(٢) تفسير الطبري (٢١/١٧).

(٣) عمدة القارئ (١٣٠/١٥).

وقال أيضاً: "قالت طائفة: المخلقة هي التي يتم خلقها، وغير مخلقة هي التي تسقط قبل أن تكون مضغة"(١) .

وعن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ﷻ وكّل بالرحم ملكا، يقول: يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مُضغةٌ، فإذا أراد أن يقضي خلقة قال: أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد، فما الرزق والأجل، فيكتب في بطن أمه**»(٢).

عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: "إن النطفة إذا استقرت من الرحم أخذها الملك بكفيه فقال أي رب مخلقة أم غير مخلقة فإن قال غير مخلقة لم تكن نسمة وقذفتها الأرحام دماً وإن قال مخلقة قال أي رب أذكر أم انثى أشقي أم سعيد ما الأجل وما الأثر وما الرزق بأي أرض تموت فيقال له اذهب إلى أم الكتاب فإنك ستجد هذه النطفة"(٣).

وفي بيان معنى مخلقة وغير مخلقة قال العيني: "تامة وغير تامة، وعن الشعبي: النطفة والعلقة والمضغة إذا أكسيت في الخلق الرابع كانت مخلقة، وإذا قذفتها قبل ذلك كانت غير مخلقة. وعن أبي العالية: المخلقة المصورة، وغير المخلقة، السقط. وقال الجوهري: مضغة مخلقة أي تامة الخلق، وقال الزمخشري: مخلقة أي مسواة ملساء من النقصان والعيب، يقال: خلق السواك إذا سواه وملسه، وغير مخلقة أي غير مسواة"(٤).

وفي وصف المضغة أنها مخلقة وغير مخلقة "يشير إلى أن بدء عملية تخلق الأجهزة المختلفة صفة بارزة لما قبل التسوية"(٥).

بيان الخلاف الواقع بين العلماء في مراحل خلق الإنسان:

---

(١) فتح الباري (٢/١١٤).

(٢) صحيح البخاري كتاب الحيض باب قول الله عز وجل: ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾ [الحج: ٥] (١/ ٧٠ رقم: ٣١٨)، صحيح مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٤/ ٢٠٣٨ رقم: ٢٦٤٦).

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول (١/ ٢٦٨).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣/ ٢٩٢).

(٥) علم الأجنة في ضوء الكتاب والسنة (١/٩٧).

نظراً لتعدد ألفاظ حديث ابن مسعود ﷺ في صحيح البخاري ومسلم، وحديث حذيفة بن أسيد ﷺ حيث جاءت رواية الإمام البخاري بلفظ عن ابن مسعود ﷺ قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة**»(١).

ورواية الإمام مسلم جاءت بإضافة لفظ «في ذلك»، عن ابن مسعود ﷺ: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات..**»(٢).

وجاءت رواية حذيفة بن أسيد ﷺ قال سمعت رسول ﷺ بأُذني هاتين، يقول: «**إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة، ثم يتصور عليها الملك**» قال زهير: حسبته قال الذي يخلقها «**فيقول: يا رب أذكر أو أنثى، فيجعله الله ذكرا أو أنثى، ثم يقول: يا رب أسوي أو غير سوي، فيجعله الله سويا أو غير سوي، ثم يقول: يا رب ما رزقه ما أجله ما خلقه، ثم يجعله الله شقيا أو سعيدا**»(٣).

من خلال الروايات السابقة وقع خلاف بين العلماء حول مدة خلق الإنسان على رأيين، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

١- أصحاب الرأي الأول وهم القائلون بأن مُدة مراحل الخلق الأولى مائة وعشرون يوماً بحيث يمر الجنين بالمرحلة الأولى أربعين يوماً نطفة، ومثلها علقة، ومثلها

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة (٤/ ١١١ رقم: ٣٢٠٨).

(٢) صحيح مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٤/ ٢٠٣٦ رقم: ٢٦٤٣).

(٣) صحيح مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته(٤/ ٢٠٣٨ رقم: ٢٦٤٥).

مضغة، وبعدئذ يتم نفخ الروح، مستندين في ذلك إلى رواية «**إن أحدكم يجمع خلفه في بطن أمه أربعين يوماً، ثمّ يكون علقة**».

٢- أصحاب الرأي الثاني يقولون أن مراحل الخلق الأولى تكون في الأربعين يوماً الأولى مستندين إلي رواية الإمام مسلم، والتي فيها زيادة لفظ (في ذلك) ورواية حذيفة بن أسيد تجاه وغيره من الروايات، وهو الذي رجحه كثير من علماء المسلمين سواء علماء الدين أو علماء التشريح والأجنة.

وقد جمع العلماء بين الروايات المختلفة، فقال الإمام النووي: قال العلماء: "طريق الجمع بين هذه الروايات أن للملك ملازمة ومراعاة لحال النطفة وأنه يقول يارب هذه علقة هذه مضغة في أوقاتها فكل وقت يقول فيه ما صارت إليه بأمر الله تعالى وهو أعلم سبحانه ولكلام الملك وتصرفه أوقات أحدها حين يخلقها الله تعالى نطفة، ثم ينقلها علقة، وهو أول علم الملك بأنه ولد لأنه ليس كل نطفة تصير ولداً، وذلك عقب الأربعين الأولى وحينئذ يكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته أو سعادته ثم للملك فيه تصرف آخر في وقت آخر وهو تصويره "(١)

أما القول الذي رجحه كثير من العلماء هو أن مراحل خلق الإنسان تكون في الأربعين الأولى وهو القول الذي يتوافق مع رأي علماء التشريح والأجنة لما أصبحوا يمتلكوا من أجهزة وآلات تراقب الجنين لحظة بلحظة.

فقد أشار ابن القيم إلى نحو ذلك فقال: "إذا اشتمل الرحم على المني، ولم يقذف به إلى الخارج، استدار على نفسه وصار كالكرة، وأخذ بالشدة إلى تمام ستة أيام، فإذا اشتد نقط فيه نقطة في الوسط، وهو موضع القلب، ونقطة في أعلاه، وهي نقطة الدماغ، وفي اليمين، وهي نقطة الكبد، ثم تتباعد تلك النقط، ويظهر بينها خطوط حمر، إلى تمام ثلاثة أيام أخر، ثم تنفذ الدموية في الجميع بعد ستة أيام أخر، فيصير المجموع سبعة

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٩٠).

وعشرين يوماً، ثم ينفصل الرأس عن المنكبين، والأطراف عن الضلوع، والبطن عن الجنبين، وذلك في تسعة أيام، فتصير ستة وثلاثين يوماً، ثم يتم هذا التمييز بحيث يظهر للحس ظهوراً بيناً في تمام أربعة أيام، فيصير المجموع أربعين يوماً تجمع خلقه"(١).

وهذا الذي قاله ابن القيم رحمه الله: "يكاد يكون متفقاً مع ما يقرره الأطباء حديثاً، وقد أصبحت الأجنة مشاهدة بواسطة آلات التصوير والمناظير، فصارت عند علماء الأجنة من الأطباء من الأمور الظاهرة، وعندهم التخليق يبدأ مبكراً من أيام الأربعين الأولى، وأحاديث رسول الله ﷺ لا تخالف الواقع، وإنما يأتي الغلط من عدم فهم مراده، أو من محاولة التشكيك فيها بتتبع المتشابه منها، وادعاء عدم صحته، والطعن من خلال ذلك في صحته.

ولهذا يقول علماء التشريح أن حديث النبي ﷺ يثبت الأتي":

١- أن جميع خلق الإنسان يكون في الأربعين يوم الأولى.

٢- أن مراحل الخلق الأولى النطفة والعلقة والمضغة إنما تتكون وتكتمل في الأربعين الأولى. ولحل الخلاف ننقل ما أورده العلماء في المؤتمر العالمي الأول للإعجاز في القرآن والسنة".

وبعد جميع النصوص الواردة في الباب وتحقيقها والنظر فيها جميعاً تبين أن القول بأن المضغة لا تتم إلا بعد مائة وعشرين يوماً قول غير صحيح للأدلة الأتية:

أ- روى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه السابق كل من الإمامين البخاري ومسلم، ولكن رواية الإمام مسلم تزيد لفظ«**في ذلك**» في موضعين قبل لفظ «**علقة**» وقبل لفظ «**مضغة**» هي زيادة صحيحة تعتبر كأنها من أصل المتن جمعاً بين الروايات.

وعلى هذا تكون الرواية التامة لألفاظ الحديث كما هي ثابتة في لفظ مسلم «**إن أحدكم يجمع خلّقة في بطن أمه أربعين يؤما، ثمّ يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثمّ يكون في ذلك مضغة مثل ذلك**».

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٣٣٦).

ب- ذكر القران الكريم أن العظام تتكون بعد طور المضغة قال تعالى: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ﴾ [سورة المؤمنون:١٤]. وحدد النبي ﷺ في حديث حذيفة رضي الله عنه أن بدء تخلق العظام بعد الليلة الثانية والأربعين من بدء تكون النطفة، فقال: «**إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا، فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها**».

وبهذا يكون الجمع بين الاحاديث أن العظام لا يكون تشكلها بعد مائة وعشرين يوماً.

ت- أثبتت دراسات علم الأجنة الحديثة، أن تكوين العظام يبدأ بعد الأسبوع السادس مباشرة، وليس بعد الأسبوع السابع عشر، مما يؤيد المعنى الظاهر لحديث حذيفة رضي الله عنه، وعلى هذا يتضح أن معنى «**في ذلك**» في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا يمكن أن يكون مثليه في الأربعينات من الأيام.

أما التوجيه اللغوي لاسم الإشارة (مثل ذلك) فقال العلماء:-

إن اسم الإشارة يمكن صرفه لفظاً إلى واحد من ثلاثة أشياء ذكرت قبله في الحديث وهي (جمع الخلق) و(وبطن الأم) و(أربعين يوماً) فهو لفظ مجمل يحمل اللفظ المبين للمقصود من اسم الإشارة في قوله والذي يبين لنا ذلك حديث حذيفة رضي الله عنه الذي يمنع مضمونه أن يعود اسم الإشارة على الفترة الزمنية (أربعين يوماً) لأن النص المجمل يُحمل على النص المبين حسب قواعد الأصوليين.

لا يصح أن يعود اسم الإشارة على (بطن الأم) لأن تكراره لا يفيد معنى جديد وسيكون حشوا وهذا يتعارض مع فصاحة وبلاغة النبي ﷺ.

إذا كان اسم الإشارة لا يصح إعادته إلى (بطن الأم) ولا إلى (الأربعين يوماً) فيتعين أن يعود اسم الإشارة في قوله مثل ذلك على جمع الخلق، لا على الأربعينات، وهو ما توصل إليه ابن الزملكاني في القرن السابع الهجري.(١)

(١) علم الاجنة في ضوء القران (٧٠/١) نظرة في حديث ابن مسعود، لمحمد الأشقر، العدد الثالث (٢٤١).

تشير الدراسة إلي أن خلق الإنسان يكون في الأربعين يوماً الأولى، وذلك جمعاً للروايات وتوافقاً مع علم الأجنة والتشريح، وفي خلق الإنسان على مراحل فوائد كثيرة، منها أن في خلقه دفعة واحدة مشقة على الأم، وأيضاً إظهار قدرة الله يخفي على الخلق والإيجاد"(١) .

رابعاً: نفخ الروح:

استمراراً في بيان المراد بفهم روايات الحديث فقد وقع أيضاً تباين بين العلماء في زمن نفخ الروح هل هو بعد المائة وعشرين يوماً أم بعد الأربعين الأولى.

أصحاب الرأي الأول:– قال الإمام النووي رحمه الله: واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر"(٢) أي بعد أربعين النطفة، ومثلها العلقة، ومثلها المضغة، بعد المائة وأربعين يوماً يكون نفخ الروح أي بعد كتابة الشقاوة والسعادة والرزق والأجل، " ثم للملك فيه تصرف آخر في وقت آخر وهو تصويره وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظمه وكونه ذكراً أم أنثى، وذلك إنما يكون في الأربعين الثالثة وهي مدة المضغة وقبل انقضاء هذه الأربعين وقبل نفخ الروح فيه لأن ؛ نفخ الروح لا يكون إلا بعد تمام صورته"(٣) .

«**ثم ينفخ فيه الرّوح**» أي بعد كتابة الملك هذه الأربعة ينفخ فيه الروح، وفي صحيح مسلم «**إن أحدكُمْ يُجمع خلفة في بطن أمه أربعين يوما، ثمّ يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مُضغة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مُضغة مثل ذلك، ثمّ يُرّسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات**»، فهذا يدل على أن كتب هذه الأربعة بعد نفخ الروح، ولفظ البخاري يدل على أن ذلك قبل نفخ الروح لأن في لفظة ثم ينفخ فيه الروح وكلمة ثم تقتضي تأخر كتب الملك هذه الأمور إلى ما بعد الأربعين الثالثة، وقال النووي والأحاديث الباقية تقتضي الكتب عقيب الأربعين الأولى، ثم أجاب عن ذلك بقوله إن قوله ثم يبعث

---

(١) عمدة القارئ (
(١٣١/١٥).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٩١/١٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٩١/١٦).

إليه الملك فيؤذن له فيكتب معطوف على قوله يجمع في بطن أمه ومتعلقاته لا بما قبله، وهو قوله ثم يكون مضغة مثله، ويكون قوله ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله معترضاً بين المعطوف والمعطوف عليه وذلك جائز"(١).

أصحاب الرأي الثاني:

وهم القائلون أن نفخ الروح يكون بعد الأربعين الأولى جمعاً بين الروايات وتوفيقاً بينها، وتوافقها مع العلم الحديث. يقول الشيخ محمد الأشقر: "فإذا صح هذا الترجيح أي خلق الإنسان تكون الإنسان يكون في الأربعين الأولى – الزمنا أن نعتبر أن نفخ الروح ، وما ذكر معه إنما يكون بعد أربعين، أو اثنين وأربعين، أو خمسة وأربعين يوما، وليس بعد مائة وعشرين يوما، وينبغي أن تبنى الأحكام على هذا التوقيت لا على التوقيت بأربعة أشهر"(٢).

تبين الدراسة أن مراحل خلق الإنسان تكون في الأربعين يوماً الأولى، وكذلك نفخ الروح عقبها، وأن رواية حذيفة ﵁ ورواية ابن مسعود ﵁ عند مسلم تبين بعضهما بعضاً مع رواية الإمام البخاري رحمه الله وليس بينهم تعارض، ولعل كل صحابي روى الحديث حسب فهمه وكذلك رتبه.

ومما يؤيد كون الخلق يكون في الأربعين الأولى، ثم نفخ الروح الأحاديث الأخرى فقد روى مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري عن النبي ﷺ: «**إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص**»(٣).

---

(١) عمدة القارئ (٤/٢٠٣٦).

(٢) مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، العدد الثالث (٢٤١)

(٣) صحيح مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٤/ ٢٠٣٧ رقم: ٢٦٤٥).

فهذا دال على أن الاكتمال يكون في الاربعين يوماً الأولى أو بعدها يسيراً.

شبهة: أخذ القرآن من الكتب السابقة له في أطوار خلق الانسان(١)

قبل الحديث في هذه المسألة يجدر الإشارة إلى قضية مهمة، تتعلق بكثير من المسائل التي يُعارض بها الإسلام ونصوصه، ذلك أن كثيراً ممن يشغبون ويثيرون الشكوك على الاسلام يظهرون للناس أنهم معتمدون على العلم، وأن هذا العلم مخالف للقرآن والسنة.

لكن المتتبع لهؤلاء والباحث بعين البصيرة يجد أنهم يكذبون على العلم قبل كذبهم على الاسلام، فينسبون إلى العلم ما ليس له، ويحرفون النصوص حسب ما يوافق أهوائهم ومقاصدهم.

بل إن الأعجب من ذلك أنهم يكتمون أحياناً بعض المسائل العلمية لا لشي إلا لمصلحة تخدمهم، وقد مر التنبيه على هذه المسألة في موضع آخر من هذا الكتاب، ومُثلَ لذلك.

فإذا كان تعامل هؤلاء مع العلم التجريبي بهذه الصورة، فما ظنك بتعاملهم مع الإسلام والذي هو عدو بنظرهم.

ولذلك نجد أنهم في هذه المسألة –مراحل خلق الأجنة– يدلسون ويحاولون تزييف الحقائق، فمرة يدعون أن الاسلام أخذ هذه العلوم ممن قبله من الاطباء، ثم إنهم يضطربون في تحديد من حدد هذه المراحل، وحتى يثبتوا ما يقولوه يذهبوا إلى ادعاء نصوص وردت عن هؤلاء الاطباء، ثم بعد البحث والتدقيق نجد أنها مدعاة، أو زيد فيها أو نقص.

---

(١) هذا الموضوع مما أطال فيه أعداء الاسلام الكلام بصورة أو بأخرى، وسيكون تفصيلها

وفي المقابل ذهب آخرون إلى أن ما ورد في القرآن والسنة مخالف لما اكتشفه العلم الحديث من مراحل خلق الانسان.

ويمكن القول أن ما جاءت به الحضارة السابقة على الاسلام من تصورات تخص الجنين وتخلقه هي في معظمها لا تعدوا أن تكون خرافات وتخمينات لا تنبني على متابعة ودراسة لأطوار الجنين ومراحلة، نظراً لانعدام التقنيات العلمية الحديثة لديهم، ومن أوضح ما يدل على ذلك ما ذكره أبقراط وأرسطو وجالين من أخطاء، مثل اخبارهم بأن الجنين يتكون من دم الحيض ومني الرجل، وأن اللحم يخلق قبل العظام، ثم جاء القرآن وقرر أن الجنين يتكون من نطفة أمشاج التي تشمل نطفتي الرجل والمرأة، وأن العظام تخلق ثم تكسى باللحم، فلو كان القرآن قد استقى معلوماته من هذه الحضارات لما ساغ أن يأتي بخلافها(١).

(١) ينظر: http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=04-03-0001، هذه النقطة مما كثر الكلام فيها وسيكون بسطها بشكل منفصل.

خلاصة الكلام على حديث ابن مسعود

يتلخص مما سبق ما يلي:

- حديث ابن مسعود ﷺ صحيح سنداً ومتناً، ولا يقدح في صحته شيء.
- ما ورد من تفسير من بعض الشراح للحديث وهذا التفسير خاطئ لا يقدح في صحة الحديث، فهم بشر يصيبون ويخطؤون.
- لا تعارض بين الحديث والأحاديث الأخرى في هذا الباب، بشأن الفترة الزمنية، التي يجمع فيها خلق الجنين في بطن أمه من ٤٠-٤٢ يوماً وذلك حسب اجتهاد بعض العلماء في توجيه الحديث توجيها آخر.
- جاءت توجيهات العلماء للحديث على النحو الآتي:
  - إن قوله "يبعث إليه الملك فيؤذن فيكتب" معطوف على قوله "يجمع في بطن أمه" ومتعلق به لا بما قبله وهو قوله"ثم يكون مثله"، ويكون قوله "ثم يكون علقة مثله، ثم يكون مضغة مثله" معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه، وذلك جائز في القران والسنة النبوية وكلام العرب.
  - لم تكرر الروايات لفظة "أربعين يوماً" بل قالت: (في ذلك ...مثل ذلك) والمعنى في ذلك الوقت أي: الأربعين يوماً علقة، أو مضغة مكتملة النمو تامة الإحكام، مثلما تكونت النطفة في الأربعين نفسها مكتملة النمو وتامة الأحكام.
  - إن وصف النطفة يكون في الاسبوع الأول تقريباً، والعلقة في الأسبوع الثاني، والثالث، والمضغة في الاسابيع الرابع والخامس والسادس، وهذا ما تؤيده جمع الخلق في مرحلتين: الأولى علقة، والثانية المضغة، وكلاهما في الأربعين يوماً.
  - بضم الحديث إلى الأحاديث الأخرى الصحيحة، يتبين أنه يمتنع عود اسم الاشارة (في ذلك) على الفترة الزمنية(أربعين

يوما)، وكذلك يمتنع عود اسم الإشارة (في ذلك) على (بطن الأم)، لأنه يفيد معنى جديدا، ولما كان ذلك تعين عوده عل جمع الخلق، لا على الأربعينات.

- الروح سر من أسرار الله التي أخفاها عن خلقه، يقول تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الإسراء:٨٥] ونفخ الروح في الجنين حقيقة ثابتة بما ورد عن رسول الله ﷺ وذلك بعد أربعين يوماً، أو اثنين وأربعين يوماً.
- لقد أثبت العلم الحديث أن الجنين بعد اثنين واربعين يوماً يصدر منه الحركات، كنبضات القلب والمخ وبعض الاطراف، وهذا يدل على أن الروح قد نفخت، ولكن لم يحدد وقت معين لنفخ الروح في الجنين.
- يتحدث الحديث الشريف عن "جمع الخلق" وهي المراحل التي يتم فيها تخلق بعض أعضاء الجنين، سواء في مرحلة العلقة، أو مرحلة المضغة، لذلك لم يذكر النبي ﷺ مرحلة النطفة، لأنها مرحلة تجميع بين خلال الذكر والانثى، ولا يحدث فيها تخلق.
- أشار القرآن إلى مراحل تطور الجنين، فوصف مرحلة النطفة بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٣].، ووصف المراحل الأخرى بقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٤]، وهذه يدل على أن مرحلة النطفة ليست مرحلة تخلق، ولكنها مرحلة تجميع لأمشاج الرجل والمرأة، وهذا يدل على دقة اختيار النبي ﷺ لألفاظه، فهي وحي من الله تبارك وتعالى (١).

(١) ينظر: موسوعة بيان الاسلام http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=٠٣-٠٢-٠٠٦٣#_ednref٩

المبحث الثالث: شبه أخرى عن مراحل الخلق

الشبهة الأولى: هل للمرأة مني مثل الرجل

من الشبهة المعاصرة على مسألة خلق الانسان أن السنة النبوية أطلقت على كل من ماء المرأة الرجل(مني)[1]، كما في حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه قال: كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي**»، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أينفعك شيء إن حدثتك؟**» قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه، فقال: «**سل**» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**هم في الظلمة دون الجسر**» قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «**فقراء المهاجرين**» قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «**زيادة كبد النون**»، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «**ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عين فيها تسمى سلسبيلا**» قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: «**ينفعك إن حدثتك؟**» قال: أسمع بأذني. قال: جئت

---

(١) أطلق هذه الشبهة كثير من النصارى ممن يظهر على القنوات على الفضائية، أو المواقع الالكترونية أمثال رشيد المغربي، وقد ناظر بهذه الشبهة وغيرها من الشبه عن خلق الانسان بعض علماء المسلمين.

أسألك عن الولد؟ قال: «**ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، آنثا بإذن الله**». قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه، حتى أتاني الله به**»(١).

فدل الحديث على أن للمرأة منياً مثلها مثل الرجل، وهذا ليس بصحيح، ذلك أنه ليس لدى المرأة إلا ماء في مهبلها لتسهيل عملية الجماع، وليس له أي علاقة بالجنين أو التخلق، ولها كذلك بويضة واحدة في كل دورة حيض، فكيف يطلق عليه مني مثل ما لدى الرجل.

وعليه فليس للمرأة منياً كما ذكر الحديث.

الرد:

أولاً المتتبع لمثل هذه الشبه يجد أنها تصدر من أناس لا علاقة لهم بالبحث العلمي التجريبي، ثم يزعمون أنهم أصحاب علم، وينسبون ذلك إلى التجارب والعلم المعاصر.

ومن حيث المبدأ فإنه لا تناقض البتة بين النص الشرعي –من قرآن وسنة صحيحة– وبين الحقائق العلمية التجريبية.

ويجب التركيز على كلمة (الحقائق)، فإنه ليس كل نظرية يطلقها البعض تكون من باب المسلمات أبداً، فنذهب إلى الأستدلال لها بالنص الشرعي، أو نفي نص بسببها.

ولذلك سماها أهل التخصص نظرية فهي وجهة نظر لم ترتقي إلى أن تكون حقيقة، إما لأن التجارب لم تثبت ذلك وإنما أدركوها من خلال النظر والملاحظة الغير مجربة ودقيقة، أو استنتجوها من خلال تفسير بعض الظواهر الطبيعية، والتي بطبيعة الحال قد تكون على خلاف ما فُسرت.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الحيض باب بيان صفة مني الرجل، والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما (١/ ٢٥٢رقم: ٣١٥)

ولا يعني هذا أن كل النظريات باطلة أو لا تصح، بل بعضها أثبت صحته العلم المعاصر، والبعض أثبت خطأها والبعض ما زالت مجرد نظرية.

والمقصود أن محاكمة النصوص الشرعية الثابتة إلى مثل تلك الأمور غير صحيح وليس بمنطقي.

من جهة أخرى أيعقل أن خالق هذا الكون —والانسان جزء يسير من ذلك الكون– بهذه الصور العجيبة المنتظمة البديعة، المسَيْر له على أحسن حال؛ يصف لنا أسرار هذا الخلق وصفاً غير صحيح!!!

إن مجرد تفكير الإنسان بهذا الأمر لهو من الميل بالعقل عن فطرته السليمة، وتفكيره الصحيح.

أما ما يتعلق بإطلاق النصوص على ماء المرأة وماء الرجل فإن من وقع في هذا الاشكال ناتج عن عدم تفريقه بين هذه الالفاظ واستعمالاتها في اللغة.

يقول محمد علي البار: "إن بداية خلق الانسان –إذا تجاوزنا المرحلة الطينية– هي النطفة.

وقد ورد ذكر النطفة في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً.

كما ذكرت أحيانا باسم الماء المهين والماء الدافق، وتذكر أحيانا باسم المني.

وليست هذه الألفاظ مترادفة متطابقة المعنى، كلا.

فهي تختلف في التفاصيل فلفظ المني مثلاً يشمل النطفة ويزيد عليها بالماء الذي يحتويها(١).

ثم إن النطفة –التي هي أحد مكونات الماء– أنواعاً فليست نوعاً واحداً:

الأولى: النطفة المذكرة وهي الحيوانات المنوية الموجودة في المني والتي تفرزها الخصية.

الثانية: النطفة المؤنثة وهي البويضة التي يفرزها المبيض مرة في الشهر.

الثالثة: النطفة الأمشاج وهي النطفة المختلطة من الحيوان المنوي الذي يلقح البويضة. أي) البويضة الملقحة (FERTILIZED OVUM).

---

(١)خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ١٠٩).

وهذا التفصيل هو الذي أشار إليه القرآن في أكثر من موضع، فقد فرق بينهما وجعل بينهما عموم وخصوص ومن ذلك:

قول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة المؤمنون:١٣].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ﴾ [سورة الحج:٥].

وورد لفظ النطفة الأمشاج في موضع واحد فقط في سورة الانسان، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الإنسان:٢].

ومن هذه الأيات يتبين أن هناك فرق بين الماء والمني والنطفة، وأن بينهما عموم وخصوص، ومن الخطأ تعميم اللفظ عليهما وأنهما بمعنى واحد.

وحتى يكون الأمر أكثر وضوحاً سنبين مدلولات هذه الألفاظ:

أولاً: المني

من أغاليط المشككين على النصوص الشرعية ادعاء أن القرآن والسنة لم تفرق بين مني المرأة ومني الرجل فجعلتهما بمعنى واحد.

لكن الناظر إلى حقيقة الأمر يجد خلاف ذلك فكما تقدم هناك فرق بين النطفة الماء والمني، ومن هنا كان لابد من التمييز بينهما وعدم الجمع بقصد التشكيك وإثارة الزوبعة.

فمنيّ الرجل يطلق على الإفرازات التناسلية للرجل والتي تفرزها الخصية والبروستاتا والحويصلة المنوية.

والمني مكون من شقين:

الأول: هو الحيوانات المنوية التي تتكون من القنوات المنوية في الخصية وهي ذاتها المسماة بالنطفة.

والثاني: هو السائل المنوي الذي يحمل هذه الحيوانات ويغذيها والتي تسبح فيه لتصل إلى الرحم.

وقد ورد لفظ المني في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة القيامة:٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة النجم:٤٥-٤٦].

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الواقعة:٥٨][(١)].

ففي الآيات تمييز بين النطفة والمني، فجعل النطفة جزءا من المني، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾.

وجاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ، سمعه يقول: سئل رسول الله ﷺ، عن العزل، فقال: «**ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء، لم يمنعه شيء**»[(٢)].

وفي الآية: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة السجدة:٧-٩].

والسلالة كما يقول المفسرون هي الخلاصة. ومعنى الآية: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [سورة السجدة:٨] أي جعل نسل بني آدم من خلاصة من الماء المهين وهو المني[(٣)].

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ١١١).

(٢) صحيح مسلم كتاب النكاح باب حكم العزل (٢/ ١٠٦٤رقم:١٤٣٨).

(٣) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ١١١).

وبيان ذلك أن جزءا يسيراً جداً من المني هو الذي يخلق الله منه الولد فالدفقة الواحدة من المني تحمل مائتي مليون حيوان منوي، والذي يلقح البويضة هو حيوان منوي واحد فقط.

ويقول الدكتور ليزلي آري في كتابه: (DEVELOPMENTAL ANATOMY) إن التجارب على الثدييات تدل على أن واحدا في المائة من دفقة المني تكفي للتلقيح والمعتمد في الكتب الطبية أن ٢٠ مليون حيوان منوي في الدفقة تكفي للتلقيح مع أنه قد سجلت حالات حمل كثيرة بأقل من هذا العدد.

ونحن نعلم أن الحيوانات المنوية في دفقة المني والتي يبلغ تعدادها مائتي مليون أو تزيد لا يصل منها إلى البويضة إلا بضع مئات.

وأن عدداً كبيراً منها يهلك في الرحلة الطويلة من المهبل فعنق الرحم فالرحم فقناة الرحم حيث تلتقي الحيوانات المنوية بالبويضة.

ولا شك أن هناك اختياراً بعد اختيار لهذه الحيوانات فلا يصل منها الا ما أرادته المشيئة الإلهية التي جعلت كل شيء بقدر.

وأن خلاصة (سلالة) هذا الماء المهين هي التي تصل إلى البويضة لتلقيحها.

وصدق الله العظيم، وصدق رسوله الكريم ﷺ الذي يقول: «**ما من كل الماء يكون الولد. وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء**»[1].

وليس هذا الاختيار مقتصر على الرجل فقط، بل كذلك المرأة، فمبيض الطفلة وهي لا تزال جنينا في بطن أمها يحتوي على ستة ملايين بويضة، فإذا ما خرجت إلى الدنيا مات الكثير منها، وتستمر هذه البويضات في اندثارها حتى إذا بلغت الفتاة المحيض لم يبق منها الا ثلاثين ألفا، وما ينمو منها ويخرج من المبيض لا يزيد عن أربعمائة بويضة في حياة المرأة كلها.

وفي كل شهر تنمو مجموعة من البويضات ولكن يد القدرة تختار واحدة منها فقط لتكمل نموها وتخرج لملاقاة الحيوان المنوي في الثلث الوحشي لقناة الرحم.

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ١١٢).

وهناك اختيار واصطفاء للحيوان المنوي وهناك اختيار واصطفاء للبويضة.

بل إن هناك اختياراً واصطفاءً للبويضة الملقحة والكرة الجرثومية، فليست كل بويضة تلقحت تصبح جنينا كاملا، كلا فإن الأبحاث الحديثة[١] تقول: أن (٧٨) بالمائة من كل حمل يجهض ويتم اسقاطه وان ما يقرب من (٥٠) بالمائة تسقط قبل أن تعلم الأم أنها حامل[٢].

وبعد هذا التقرير والتفصيل يتبين أن نصوص الشرع لم تطلق الأمر بل فصلت:

أولاً: لا يراد بمني المرأة هو ما تفرزه أثناء عملية الجماع، وذلك بدلالة النصوص كما تقدم.

ثانياً: أن للمرأة أكثر من إفراز، وكل له وضيفة، فما يخرج من المهبل هو المسؤول عن عملية التعقيم وعملية الاتصال بين المرأة والرجل، وليس هذا هو المراد به الذي يكون منه الجنين.

ثالثاً: أن مني المرأة الذي يكون مسؤولاً عن التلقيح وتخلق الجنين هو ما يفرزه المبيض من البويضة والسائل المحيط بها لحفظها.

رابعاً: العلاقة بين كل هذه الاشياء في المرأة علاقة مرتبطة تكاملية.

خامساً: ما يطلقه المنكرون من أن ليس للمرأة منياً، لا حجة لهم عليه إلا لأن صفة خروجه تختلف عن صفة خروجه من الرجل، وهذا ليس بدليل، فليس من الضرورة كونهما مختلفين في بعض الصفات اختلافهما في التسمية، فكون المرأة لها خصائص تختلف عن الرجل لا يخرجهما من مطلق أسم الانسان.

وإلا فإن الامر منقلب عليهم، فللقائل أن يقول أن ماء الرجل لا يطلق عليه منياً، لأنه لا يخرج بمفرده من الرجل، بل هناك سوائل تخرج قبله وبعده خلقها للتعقيم والتنظيف، وهو نفس الأمر لدى المرأة لكن بصورة أخرى.

---

(١) مجلة: MEDICINE DIGEST عدد يناير ١٩٨١.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ١١٢).

وما هو متقرر فإن بويضة المرأة محاط بماء مثله مثل الحيوان المنوي للرجل يقول البار: "إن الحيوانات المنوية يحملها ماء دافق هو ماء المني.

كذلك البويضة في المبيض تكون في حويصلة جراف محاطة بالماء فإذا انفجرت الحويصلة تدفق الماء على أقتاب البطن وتلقفت أهداف البوق البويضة لتدخلها إلى قناة الرحم حيث تلتقي بالحيوان المنوي لتكون النطفة الأمشاج"(١).

ولابن القيم كلام جيد في تحديد الفرق بينهما حيث يقول: "نعم لمنى الرجل خاصة الغلظ والبياض والخروج بدفق ودفع فإن أراد من نفى منى المرأة انتفاء ذلك عنها أصاب ومنى المرأة خاصته الرقة والصفرة والسيلان بغير دفع فإن نفى ذلك عنها أخطأ"(٢).

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ١٢٣).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٣٣٦).

الشبهة الثانية: المسؤول عن الذكورة والأنوثة

ورد في حديث ثوبان السابق عن النبي ﷺ وفيه «**ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، آنثا بإذن الله**[1] »[2].

فدل ظاهر الحديث أن تحديد جنس الذكر مشترك بين الرجل والمرأة.

قالوا: وجد علماء الأجنة أن المسؤول عن تحديد جنس الجنين هو ماء الرجل فقط، ذلك أن كروموسومات الذكورة والانوثة هي من الرجل دون المرأة، فذهب المشككون إلى الطعن في الاسلام وأنه ليس ربانياً، بل هو من محمد ﷺ ذلك أنه أتى بما يخالف العلم.

ثم إنه كيف يتحدد جنس المولود هل من الملك، أم من علو ماء الرجل على ماء الأنثى العكس؟ والمسؤول عن تحديد جنس المولود هو الكروموسوم الموجود في الحيوان المنوي للرجل وليس المرأة أو الرجل.

ومناقشة هذا الاشكال كالتالي:

ورد في الحديث الماضي أن النبي ﷺ قال: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه، حتى أتاني الله به**».

فدل ذلك على أن الأمر ليس اجتهاداً من النبي ﷺ بل هو وحي من الله سبحانه وتعالى.

---

(١) هناك تفسير آخر موافق للعلوم المعاصرة وهو أن السباق أو العلو بين ماء المراءة وماء الرجل وهو الحيوانات المنوية المذكرة والمؤنثة، فإذا سبق أحدهما كان الجنس منه لا من غيره، ينظر: http://antishobhat.blogspot.com/2012/10/blog-post_6791.html

(٢) سبق تخريجه.

وقد تقرر أن للمرأة مني مثلها مثل الرجل مع اختلاف الخصائص، يقول البار: "يتضح أن للمرأة نوعين من الماء:

أولهما: ماء لزج يسيل ولا يتدفق وهو ماء المهبل، وليس له علاقة في تكوين الجنين سوى مساعدته في الإيلاج وفي ترطيب المهبل وتنظيفه من الجراثيم والميكروبات.

وثانيهما: ماء يتدفق وهو يخرج مرة واحدة في الشهر من حويصلة جراف بالمبيض عندما تقترب هذه الحويصلة المليئة بالماء الأصفر-وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان: «**أن ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر**» -من حافة المبيض فتنفجر عند تمام نموها وكماله فتندلق المياه على أقتاب البطن ويتلقف البوق وهو نهاية قناة الرحم (وتدعى أيضا قناة فالوب) البويضة فيدفعها دفعا رقيقا حتى تلتقي بالحيوان المنوي الذي يلقحها في الثلث الوحشي من قناة الرحم.

هذا الماء يحمل البويضة تماما كما يحمل ماء الرجل الحيوانات المنوية، كلاهما يتدفق(١).

وقد تقدم كلام ابن القيم رحمه الله في تحديد الفرق بينهما: "نعم لمنى الرجل خاصة الغلظ والبياض والخروج بدفق ودفع فإن أراد من نفى منى المرأة انتفاء ذلك عنها أصاب ومنى المرأة خاصته الرقة والصفرة والسيلان بغير دفع فإن نفى ذلك عنها أخطأ"(٢).

تحديد الذكورة والانوثة:

أثبتت الابحاث التي قام بها علماء الأجنة والأحياء أن المسؤول عن تحديد جنس المولود سواء كان ذكراً أم أنثى هو الحيوان المنوي للرجل.

ولو تأملنا الآيات القرآنية نجد أنها أشارت إلى ذلك.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة النجم:٤٦].

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ١٢٣).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٣٣٦).

ويقول: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة القيامة:٣٦-٤٠].

والنطفة التي تمنى هي نطفة الرجل هي الحيوان المنوي كما نسميه اليوم باصطلاح العلم الحديث(١).

ذلك أن الكروموسومات هي التي تحدد جنس المولود سواء كان ذكرا أو أنثى.

يقول البار: "إن كل خلية في جسم الانسان تحتوي على ثلاثة وعشرين زوجا من الجسيمات الملونة، وأن منها زوجا واحداً هو المسؤول عن صفة الشخص وجنسه: ذكر أم أنثى. كل خلية من خلايا الجسم تنبئك بذلك.

فخلايا الرجل تحتوي على الجسيمات الملونة X Y بينما خلايا المرأة تحتوي على الجسيمات الملونة X X فإذا انقسمت خلايا الخصية انقساما اختزاليا فإن ناتج هذا الانقسام هو خلايا أو حيوانات منوية تحتوي على X فقط أو Y فقط أي أن هذه الحيوانات المنوية إما أن تكون حيوانات منوية مذكرة أو حيوانات منوية مؤنثة فالحيوان المنوي الذي يحمل شارة الذكورة Y يختلف عن الحيوان المنوي الذي يحمل شارة الأنوثة X"(٢).

فإذا لقح الحيوان المنوي المذكر البويضة كان الجنين ذكرن بإذن الله. أما إذا لقح البويضة حيوان منوي يحمل شارة الأنوثة فإن نتيجة الحمل هي أنثى بإذن الله.

وتبقى الآية بعد ذلك كله اعجازا علميا كاملا: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ١٣٤).

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ١٣٥) نقلاً عن كتاب علم الأجنة الانساني - HUMAN EMBRYOLOGY BY HAMIL th EDITION TON AND BOYD 4

فالنطفة التي تمني زوجان: حيوان منوي مذكر وحيوان منوي مؤنث، والنطفة التي تمنى تقرر نوعية الجنين وجنسه وصدق الله العظيم(١).

ومن خلال ما سبق أشار القرآن إلى أن تحديد الذكورة والأنوثة من قبل الرجل، وهو ما أثبته العلم الحديث من خلال علم الأجنة، لكن ما دور الأم في ذلك.

جاء في الحديث: «**ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، آنثا بإذن الله**».

في الحديث عدة قضايا مهمة سنتكلم عنها في موضعها، لكن الذي يهمنا هنا هو هل للمرأة دور في تحديد جنس الجنين، وهذا الذي دل عليه ظاهر الحديث.

أولاً: مما يجب أن يُعلم ويتقرر أن علم الأجنة لم يصل إلى الغاية والنهاية في معرفة جميع حقائق الخلق والتكوين للإنسان، وهذا ما اعترف به كبار الاطباء والعلماء في هذا المجال، فهناك اسراراً خافية لم يستطيع العلم الحديث تفسيرها، وهي كثيرة جداً.

ثانياً: إذا تقرر ما سبق فلا يجوز بحال من الأحوال أن نحاكم نصوص الوحي إلى هذه العلوم وأن ما أثبتته هو الصواب، وما عداه هو الخطأ.

ثالثاً: يجب التسليم بإن أعداء الاسلام لا يرضيهم من الاسلام وأهله أن ينسلخوا أو يتنازلوا عن أمر واحد أو اثنين أو ثلاثة، أو يتركوا كثير من مسلماتهم، ولذلك محاولة تطويع أو انكار نصوص الشرع لمثل هذه التشغيبات ليس بمجدي مع مثل هؤلاء، مع ما تمثله من تهكم وتهاون بالنصوص الشرعية، ولن يرضيهم إلا الإنسلاخ من الدين ككل.

رابعاً: ما يتعلق بالمسؤول عن الذكورة والانوثة كما أشار إليه القرآن هو ماء الرجل، ولا تناقض بين ذلك وبين حديث الآنف الذكر من وجوه كثيرة منها:

١- أن تفسير العلماء لعلو ماء الرجل أو ماء المرأة على الآخر والذي يكون به التأثير على جنس الجنين، ليس كما يتخيله هؤلاء، فقد خلط بعض المتعالمين بين معاني الأحاديث في ذلك فحملوا أحاديث الشبه على تحديد جنس الجنين، وذلك خلط كبير ومنه قول النبي ﷺ: «**فمن أين يكون الشبه**».

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ١٣٨)

٢- هناك توجيهات لحديث ثوبان ﷺ في هذا الباب منها:

أولاً: ذهب الأكثرون إلى أن الحديث صحيح، وأنه لا إشكال في كون علو ماء المرأة يسهم في تخلق المولود إلى أنثى إن أذن الله بذلك – وقد وقع خلاف في معنى " العلو " هل هو السبق ، أو العلو الحقيقي ، أو الكثرة والقوة - ، وأنه حتى في حال علو ماء المرأة فإنه يؤثر في اختيار الحيوان المنوي المذكر أو المؤنث ، دون أن يكون له دور رئيسي، فرجع الأمر إلى أن المؤثر الحقيقي هو ماء الرجل، فالمرأة هنا تساهم بدور ثانوي ، وذلك بتهيئة الظروف لاستقبال الحيوان المنوي، فالوسط الحامضي يقتل "Y " ويبقي على " X " من الحيوانات المنوية فيكون جنس المولود أنثى " XX ".

قال الدكتور محمد علي البار: " وتضمن الحديث – يعني حديث ثوبان - وصفاً لماء الرجل وماء المرأة ، كما تضمن قضية الذكورة والأنوثة وأرجعها إلى أي الماءين علا، فالإذكار أو الإيناث تبع له .

ويبدو ذلك معارضاً للآيات الكريمة التي ذكرت أن جنس الجنين يحدده مني الرجل فحسب – وذكر آية النجم وآية القيامة - كما يبدو معارضاً للمعلومات الطبية التي تؤكد أن جنس الجنين إنما يحدِّده الحيوان المنوي الذي سيلقح البويضة فإن كان حيواناً منويّاً يحمل شارة الذكورة " Y "كان الجنين ذكراً ، بإذن الله وإن كان حيوانا منويّاً يحمل شارة الأنوثة " X "كان الجنين أنثى بإذن الله .

وفي الواقع ليس هناك تعارض، وربما أثَّر علو ماء الرجل أو ماء المرأة في الحيوانات المنوية التي سيفلح واحد منها بإذن الله في تلقيح البويضة، ونحن نعلم أن إفرازات المهبل حامضية وقاتلة للحيوانات المنوية، وأن إفرازات عنق الرحم قلوية ولكنها لزجة في غير الوقت الذي تفرز فيه البويضة، وترق وتخف لزوجتها عند خروج البويضة، وإلى الآن لا ندري مدى تأثير ماء المرأة على نشاط الحيوانات المنوية المذكرة أو المؤنثة، ولا بد من إجراء بحوث دقيقة لنتبين مدى تأثير هذه الإفرازات على الحيوانات المنوية المذكرة أو المؤنثة، ومدى تأثير علوها أو انخفاضها على نشاط هذه الحيوانات، وهناك من يقول : إن معنى العلو هو

الغلبة والسيطرة فإن كانت الغلبة للحيوانات المذكرة كان إذكار ، وإن كان للمؤنثة كان إيناث بإذن الله"(١).

ثانياً: ذهب بعض العلماء إلى أن الإذكار والإيناث ليس له سبب طبيعي، وأن ما جاء في حديث ثوبان ﵁ -وهو الذي اشتمل على النص على جنس الجنين- هو وهْمٌ من بعض رواته، وأنه في الشبه بأحد الأبوين، ليس في تحديد الذكورة والأنوثة، ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

قال ابن القيم ﵀: " وسئل ﷺ عن شبَه الولد بأبيه تارة وبأمه تارة فقال «**إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة كان الشبه له ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل فالشبه لها**» متفق عليه، وأما ما رواه مسلم في صحيحه أنه قال «**إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكر الرجل بإذن الله ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل آنث بإذن الله**» فكان شيخنا – أي : ابن تيمية – يتوقف في كون هذا اللفظ محفوظا ويقول : "المحفوظ هو اللفظ الأول، والإذكار والإيناث ليس له سبب طبيعي، وإنما هو بأمر الرب تبارك وتعالى للملك أن يخلقه كما يشاء، ولهذا جعل مع الرزق والأجل والسعادة والشقاوة"(٢).

٣- اتجاه آخر يبين المراد باشتراك المرأة والرجل في تحديد جنس الجنين، وهذا الاتجاه ظهر حديثاً وهو يجعل المسئولية عن تحديد جنس الجنين مشتركة بين الرجل والمرأة، وقد تزعم هذا الاتجاه وأظهره للناس – فيما نعلم – الدكتور جمال حمدان حسانين – اختصاصي علم التشريح والأجنة – وهي في تفسير حديث ثوبان ﵁- ، وقد قال ما نصه : "اندماج الحيوان المنوي مع البويضة يعتمد علي الخصائص الكهربية لهذه الخلايا الجنسية ، فعندما تكون البويضة " سالبة الشحنة " فإنها تجذب إليها الحيوان المنوي (Y) الذي يحمل شحنة موجبة وينتج " طفل ذكر " ، وبما أن الحامل للصبغي " الشحنة الموجبة " هي الأعلى حسب قواعد الطبيعة يكون منيُّ الرجل هو الأعلى، وبذلك يكون علو منيُّ الرجل سبباً في

(١) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص:٣٩٠ ، ٣٩١)، https://islamqa.info/ar/175100.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ٢٠٧).

إنجاب طفل ذكر، وهذا يطابق ما أوضحه الحديث النبوي بشكل مذهل «**فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله**».

وأما إذا كانت البويضة موجبة الشحنة فإنها تجذب إليها الحيوان المنوي الحامل للصبغي (X) الذي يحمل شحنة سالبة وينتج «**طفل أنثى**»، وهذا ما أوضحه أيضا الحديث النبوي «**وإذَا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله**».

وعلي ذلك يكون هناك دور مشترك للرجل والمرأة في تحديد جنس الطفل[١]، فالعلو هنا لأحدها على الآخر بحسب الشحنة الكهربائية.

هل المعرفة تكون تامة بشكل كبير؟؟

فإذا عرفنا نوعية الجنين ذكرا أو أنثى فتلك معرفة ناقصة مبتورة، ومع هذا يمكن أن تخطئ، يمكن أن تكون الأعضاء الظاهرة لأنثى وتكون الغدة التناسلية لذكر[٢]، وهذا ما يدرك بالحس والمشاهدة فكثيراً ما يحدد الاطباء جنس الجنين ويكون بخلاف ذلك.

---

(١) ينظر: https://islamqa.info/ar/175100.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ٣٠٧).

الشبهة الثالثة: استئثار الله بعلم ما في الارحام ومعرفة جنس الجنين من خلال الاجهزة.

أخبر الله تعالى أنه لا يعلم ما في الارحام إلا هو فكيف يطلع الملك على نوع الجنين، ثم أنه استطاع العلماء معرفة نوع الجنين بواسطة الاجهزة الحديثة.

أولاً: معرفة الملك لنوع الجنون إنما هو عن إذن من الله تعالى، ولولا إذنه سبحانه وأمه بذلك لما علم الملك بنوع الجنين.

من جهة أخرى أن هذا مما كل به الملك من الأوامر ولا يتنافى مع استئثار الله بذلك، قال ابن كثير بعد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [سورة لقمان:٣٤]، هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها؛ فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [سورة الأعراف:١٨٧]. وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه. وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى، أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه.

وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [سورة الأنعام:٥٩]. وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب"(١).

وقال ابن حجر بعد ايراده حديث جبريل الطويل في معرفة الاسلام والإيمان والإحسان ثم قال: «**متى الساعة؟ قال: " ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا**

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٥٢).

الله " ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ [لقمان: ٣٤] الآية..»(١)

وأما ما ثبت بنص القرآن أن عيسى عليه السلام قال إنه يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون وأن يوسف قال إنه ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتي إلى غير ذلك مما ظهر من المعجزات والكرامات فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء في قوله إلا من ارتضى من رسول فإنه يقتضي اطلاع الرسول على بعض الغيب"(٢).

يقول محمد على البار: "ان الآية الكريمة جعلت التعبير مختلفا من جملة إلى أخرى، ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾ فهو المختص وحده بعلمها، ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها. إلى ربك منتهاها﴾، ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي﴾.

﴿يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله﴾.

وعندما سئل عنها رسول الله ﷺ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» ومع هذا فقد أخبر ﷺ عن أشراطها وعلاماتها وذكر كثيراً من هذه العلامات الصغرى والكبرى.

﴿وينزل الغيث﴾ فهو وحده الذي ينزل الغيث، ولكن الله تعالى لم ينف عن البشر أن يعرفوا مواقيت نزول الغيث بأمارات وإشارات؛ تختلف قوة إدراكها من شخص لآخر، ومن زمان لزمان، حسب الخبرة وتجمع المعلومات، ومع هذا فرغم الدقة العلمية التي بلغها الانسان في هذا الزمان فان التنبؤات الجوية كثيرا ما تخيب وتفشل، وعلم نزول الغيث ظني بالنسبة للإنسان لا يقيني، ولا شك أن هناك فرقا هائلا وبونا شاسعا بين علم الله سبحانه وتعالى الغير محدود واللا نهائي؛ والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي لا يمكن قط أن يخطئ -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- وبين علم البشر المحدود القابل للخطأ وللنسيان وللتبديل والتحريف.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الايمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (١/ ١٩رقم:٥٠)، كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ [لقمان: ٣٤] (٦/ ١١٥رقم:٤٧٧٧)، صحيح مسلم كتاب الايمان باب معرفة الايمان والاسلام والقدر(١/ ٣٦رقم:٨).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥١٤).

ومعرفة نزول الغيث بمعرفة إشاراته وعلاماته، مثل أن ترى السحاب الكثيف من بعد مع خبرة بأنواع السحاب تصدق في كثير من الأحيان، وتخيب وتفشل في معرفة بعضها استنادا إلى عوامل متعددة تدخل فيها خبرة الشخص ووسائله المتاحة له، مع وجود عوامل أخرى قد تأتي وتعارضها فجأة.

وكذلك علم ما في الأرحام فالله وحده هو الذي يعلم علما محيطا شاملا بما في الأرحام: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الرعد:٨].

﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ [سورة لقمان:٣٤].

فعلمه سبحانه وتعالى شامل كامل محيط يعرف كل صغيرة وكبيرة في الرحم وفي غيره "(١).

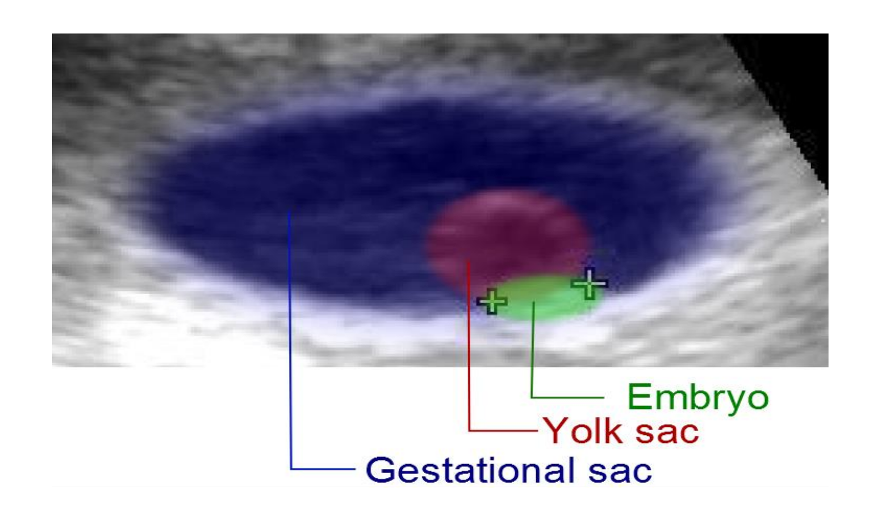
وبهذا يتبين أن علم الله تعالى شامل بكل شيء، ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [سورة يونس:٦١]. فإن علمه شامل لما في الارحام.

وكذلك فإن معرفة الانسان لا تكون إلا بعد بروز علامات الخلق، ومن المعروف أن تحديد جنس الجنين قد تحدد قبل ذلك، عند تلقيح البويضة بالحيوان المنوي، لكن لا يستطيع أحد أن يعرف نوع ذلك الجنين حينها أبداً.

ولا يمكن معرفة جنس الجنين قبل ظهور علامات التخلق، ومن ذلك قبل تليق البويضة بالحيوان المنوي.

وقد أثبت الاطباء أن الجنين قبل (٤٢) لا يمكن أن يتميز خلقه، وقد التقطع صور له وهو في الاسبوع الخامس وما زال خلقه لم يتبين بعد، انظر للجنين وهو في الاسبوع الخامس:

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ٣٠٥وما بعدها).



يقول البار: " يصعب التفريق بين الذكر والأنثى من حيث الأعضاء التناسلية الظاهرة إلى بداية الشهر الرابع من الحمل، ومن ثم يمكن التمييز بينهما، أما بداية تكون هذه الأعضاء فتبدأ في الأسبوع الرحمي السادس (٤٢ يوما) وتستمر في النمو، ولكن التمييز لا يظهر الا في بداية الشهر الرابع.

وتبدأ الأعضاء الظاهرة ببرعم صغير فوق شق، أما البرعم فيتحول إلى قضيب أو بظر –حسب نوع الجنين– وأما الشق فإما أن يبقى ويكون على جانبيه الشفران كما هو في البنت أو يلتصق ويكون كيس الصفن كما هو في الولد، ثم تنزل الخصية من كل جانب إلى كيس الصفن في الشهر التاسع.

لقد ابتدأ التكوين الجنسي في الأسبوع السادس (٤٢ يوما)، وهذا مصداقاً لحديث: «**إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب ذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما يشاء**»، ويبدأ الملك عمله منذ تلك اللحظة في توجيه الأنسجة والخلايا الصماء إلى وظائفها وأماكنها المحدودة في وقتها المعلوم.

وعندما تكتمل مراحل النطفة والعلقة والمضغة يؤمر الملك بالدخول مرة أخرى ليحدد الأعضاء الظاهرة هذا ذكر وهذه أنثى.

وهذا تقدير بعد تقدير وتصوير بعد تصوير، فقد قدر الله سبحانه أمر المخلوقات قبل خلقها في اللوح المحفوظ ثم قدرها وهي في عالم الذر حين قبض قبضة باليمين فقال"(١)

يقول صاحب كتاب (HUMAN EMBRYOLOGY): "لا يمكن تحديد جنس الجنين بدراسة الغدد التناسلية لجنين يبلغ طوله ١٧ مم من الرأس إلى المقعدة وعمره ٤٢ إلى ٤٥ يوما لأن الغدة التناسلية لم تتميز بعد إلى خصية أو إلى مبيض"(٢).

وقد سُئل الشيخ ابن عثيمين بين علم الاطباء بجنس الجنين وبين قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [سورة لقمان:٣٤]. فقال: "قبل أن أتكلم عن هذه المسألة أحب أن أبين أنه لا يمكن أن يتعارض صريح القرآن الكريم مع الواقع أبدا، وأنه إذا ظهر في الواقع ما ظاهره المعارضة، فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة له، وإما أن يكون القرآن الكريم غير صريح في معارضته؛ لأن صريح القرآن الكريم وحقيقة الواقع كلاهما قطعي، ولا يمكن تعارض القطعيين أبدا.

فإذا تبين ذلك فقد قيل: إنهم الآن توصلوا بواسطة الآلات الدقيقة للكشف عما في الأرحام، والعلم بكونه أنثى أو ذكرا فإن كان ما قيل باطلا فلا كلام، وإن كان صدقا فإنه لا يعارض الآية، حيث إن الآية تدل على أمر غيبي هو متعلق علم الله – تعالى – في هذه الأمور الخمسة، والأمور الغيبية في حال الجنين هي: مقدار مدته في بطن أمه، وحياته، وعمله، ورزقه، وشقاوته أو سعادته، وكونه ذكرا أم أنثى، قبل أن يخلَّق، أما بعد أن يخلق، فليس العلم بذكورته أو أنوثته من علم الغيب، لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة، إلا أنه مستتر في الظلمات الثلاثة، التي لو أزيلت لتبين أمره، ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله –

---

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن (ص: ٣٠٠وما بعدها).

(٢)HUMAN EMBRYOLOGY (ص:٣٣٨ وصفحة ٤٠٠)الطبعة الرابعة.

تعالى – من الأشعة أشعة قوية تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكرا أم أنثى. وليس في الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة، وكذلك لم تأت السنة بذلك"(١).

ونجد أن البعض اتجه بتفسير الآية اتجاه أخر ففسر علم الله بما في الارحام أي بما تغيض الارحام، أي بما تلفظه الارحام تخرجه، أو مالم تتخلق فيه هيئة الجنين بصورته السوية.

يقول الصاوي: "العلم بغيض الأرحام بعني العلم المسبق بحدوث الإسقاط التلقائي المبكر بشقيه قبل تمام تخليق الجنين برغم توفر مقدمات الخلق الضرورية ومادته الأولى، وتهيؤ الأسباب وانتفاء الموانع لحدوثه فيتخلص الرحم من تلك المواد الأولية؛ إما بإسقاطها أو بغورها واندثارها؛ وذلك لبيان أن الإيجاد بعد العدم والإعدام بعد الوجود ظاهرة متكررة تبين إمكان وقوع البعث بالنظير والضد، وأن التخليق هو اختيار من الفاعل المختار.

وعلى هذا يكون من ضمن المراد بعلم ما في الارحام العلم بغيض الأرحام الذي لا يعلمه إلا الله هو العلم بمستقبل هلاك الأجنة المبكرة أو بمعنى آخر: العلم بإرادة الله في إنشاء إنسان جديد من عدمه. وأن هذا العلم مقصور على الله وحده، ويستحيل على البشر بل وعلى الخلق جميعا معرفته"(٢).

ومستندهم في ذلك أن عوامل واسباب سقط الجنين كثيرة جداً وغامضة، ومما لا يمكن للعلم البشري أن يحيط به فيقول: " يمر الجنين خلال مرحلة التخليق بتحولات خطيرة وكبيرة ومعقدة للغاية. ومازالت جوانب كثيرة من هذه التحولات تشكل لغزاً محيراً للعلماء مثل الإنقسام السريع للخلايا الجنينية، وتمايزها إلى خلايا وأعضاء مختلفة التركيب والوظيفة. وتحدث خلال هذه الفترة الحرجة تغيرات مفاجئة قد ينجم عنها خلل في الصبغيات أو الجينات تؤدي إلى هلاك الجنين المبكر بنسبة عالية قد تتجاوز ٦٠٪ من كل الإسقاط التلقائي المبكر عند كل النساء، هذه التغيرات المفاجئة والمميتة ما زالت

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٦٨-٦٩).

(٢) ينظر: https://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/86-Twenty-eighth-issue/809-Mphath-unseen.

خارج نطاق العلم القطعي بحدوثها، وذلك لأن معظم أسبابها مجهولة، ويصعب جداً، بل يستحيل في كثير من الأحيان الكشف عنها مسبقا أو حتى توقع حدوثها"(١).

ثم ذكر كلاماً طويلاً يقرر أن الاسباب المؤدية إلى ذلك كثيرة جدا ولا يمكن للعلم التجريبي أن يحيط بها.

ويؤيد هذا الاتجاه ما ذهب إليه بعض المفسرين عند تفسيرهم لبعض الآيات.

وخلاصة ذلك:

أنه لا تعارض بين علم الله بما في الارحام، وبين معرفة نوع الجنين، لأن معرفة الانسان لا تكون إلا بعد تخلق الجنين، وبروز العلامات الظاهرة.

ثم أن علم الله ليس مقصوراً على نوع الجنين، بل هو شامل بنوعه، ومراحل خلقه، وهل يكتب له السلامة وتمام الخلق أم لا.

كما أن الأمر ليس مقتصراً على أرحام الاناث من الانس، بل شامل لكل الارحام، من انسان وحيوان وغيره.

وهو ما دلت عليه الآية في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [سورة لقمان:٣٤]. فما اسم موصول يفيد العموم، قال ابن عثيمين: "وتعلق العلم بهذا العام هو تعلق عام أيضا، فعلم ما في الأرحام لا يقتصر على علم كونه ذكرا أو أنثى، واحدا أم متعددا، بل علم ما في الأرحام أشمل من ذلك"(٢).

وللطاهر ابن عاشور كلام جميل عن هذه الآية وبيان المراد منها إذ يقول: "ومعنى حصر مفاتح الغيب في هذه الخمسة: أنها هي الأمور المغيبة المتعلقة بأحوال الناس في هذا العالم وأن التعبير عنها بالمفاتح أنها تكون مجهولة للناس فإذا وقعت فكأن وقوعها فتح لما كان مغلقا وأما بقية أحوال الناس فخفاؤها عنهم متفاوت ويمكن لبعضهم تعيينها

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٥/ ٢٧٣).

مثل تعيين يوم كذا للزفاف ويوم كذا للغزو وهكذا مواقيت العبادات والأعياد، وكذلك مقارنات الأزمنة مثل: يوم كذا مدخل الربيع فلا تجد مغيبات لا قبل لأحد بمعرفة وقوعها من أحوال الناس في هذا العالم غير هذه الخمسة فأما في العوالم الأخرى وفي الحياة الآخرة فالمغيبات عن علم الناس كثيرة وليست لها مفاتح علم في هذا العالم"(١).

وبهذا يتبين أن علم الله بذلك عام يشمل ما يتعلق بالذكورة وغيرها، ولا مانع من اطلاع بعض خلقه دون بعض، أو في وقت دون وقت.

يقول الشيخ الشعراوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [سورة لقمان:٣٤، هذه أيضاً من مفاتح الغيب، وستظل كذلك مهما تقدمت العلوم، ومها ادَّعى الخَلْق أنهم يعلمون ما في الأرحام، والذي أحدث إشكالاً في هذه المسألة الآن الأجهزة الحديثة التي استطاعوا بها رؤية الجنين، وتحديد نوعه أذكر أم أنثى، فهذه الخطوة العلمية أحدثتْ بلبلة عند بعض الناس، فتوهموا أن الأطباء يعلمون ما في الأرحام، وبناءً عليه ظنوا أن هذه المسألة لم تَعُدْ من مفاتح الغيب التي استأثر الله بها.

ونقول: أنتم بسلطان العلم علمتم ما في الأرحام بعد أن تكوَّن ووضحتْ معالمه، واكتملتْ خِلْقته، أما الخالق – عَزَّ وَجَلَّ – فيعلم ما في الأرحام قبل أنْ تحمل الأم به، ألم يُبشِّر الله تعالى نبيه زكريا عليه السلام بولده يحيى قبل أن تحمل فيه أمه؟ ونحن لا نعلم هذا الغيب بذواتنا، إنما بما علّمنا الله، فالطبيب الذي يُخبرك بنوع الجنين لا يعلم الغيب، إنما مُعلَّم غيب.

والله –تبارك وتعالى– يكشف لبعض الخلق بعض الغيبيات، ومن ذلك ما كان من الصِّدِّيق أبي بكر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْه – حين أوصى ابنته عائشة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْها – قبل أن يموت وقال لها: يا عائشة إنما هما أخواك وأختاك، فتعجبت عائشة حيث لم يكن لها من الإخوة سوى محمد وعبد الرحمن، ومن الأخوات أسماء، لكن كان الصِّديق في هذا الوقت متزوجاً من بنت خارجة، وكانت حاملاً وبعد موته ولدتْ له بنتاً، فهل تقول: إن

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ١٩٨).

الصِّدِّيق كان يعلم الغيب؟ لا، إنما أُعِلم من الله. إذن: الممنوع هنا العلم الذاتي أن تعلم بذاتك.

ثم إن الطبيب يعلم الآن نوع الجنين، إما من صورة الأشعة أو التحاليل الي يُجريها على عينة الجنين، وهذا لا يُعتبر علماً للغيب، و (الشطارة) أن تجلس المرأة الحامل أمامك وتقول لها: أنت إنْ شاء الله ستلدين كذا أو كذا، وهذا لا يحدث أبداً"(١).

الشبهة الرابعة: هل من كل الماء يكون الولد

هذه المسألة متعلقة بما قبلها، وهي هل كل الماء مسؤول عن التخصيب، أم بعضه.

قد مر بنا الآيات الدالة على أن خلق الجنين يكون من جزء يسير من الماء قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [سورة النحل:٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة القيامة:٣٧].

يقول الدكتور موريس بوكاي بعد إيراده لهذه الآيات: "ومن المهم أن ندرك أن القرآن يبين أن المقدرة على التخصيب في المني لا تعتمد على حجم السائل المفرز، والفكرة هي أن كمية صغيرة جداً من سائل تكوين فعالة تماماً رغم أن هذه الفكرة لا تتضح للوهلة الأولى.

أما أولئك الذين يجهلون المعلومات الثابتة في هذه الظاهرة فهم يميلون إلى أن يعتقدوا في صحة عكس ذلك، ومع ذلك، فمنذ أكثر من ومع ذلك فمنذ أكثر من ألف سنة قبل اكتشاف الحيوانات المنوية —في أوائل القرن السابع عشر، يعبر القرآن عن هذه الأفكار التي ثبتت صحتها عندهم، بعد اكتشاف هوية عامل التخصيب والذي يمكن قياسه في وحدات من ١–١٠٠٠ من الميليمتر، إنه بالتأكيد الحيوان المنوي الموجود في السائل

(١) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٧٦٨).

المنوي والذي يحتوي على شريط الـ(D.N.A) وهذا بدوره يشكل المركبة للجينات التي يوفرها الوالد، والتي تتخذ مع جينات الأم، وتشكل بذلك الوراثة الجينية للفرد في المستقبل(١).

وبهذا يتبين أن المسؤول عن التخصيب من جهة الذكر هو بعض الماء وليس كله، وكذلك المرأة فإنه ليس كل الماء عندها مسؤول عن التخصيب، لكن بعضه وهو ما يفرزه المبيض وقذفه إلى قناة فالوب وتسمى البيضة، والتي تلتقي مع الحيوان المنوي.

ومن هنا تتجلى لنا عظمة القرآن وسنة سيد ولد عدنان ﷺ في الإخبار عن أمور لم يكن بمقدور أحد أن يعرفها في وقتها، بل لم تعرف إلا بعد اكتشاف الاجهزة الحديثة والتي من خلالها تعرف العلماء على تخلق الاجنة.

ففي الحديث الذي رواه الامام مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه«**ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء، لم يمنعه شيء**»(٢).

وهذا ما يؤكده العلم الحديث من أن الولد يكون من جزء يسير من الماء سواء كما تقدم آنفاً في كلام موريس بوكاي ، ألا يدل ذلك على أن السنة وحي من عند الله تعالى، وإلا فمن الذي أخبر النبي ﷺ بذلك؟

وقد أخبر النبي ﷺ أن ذلك لم يكن من عنده بل هو وحي من عند الله تعالى، عندما سأله اليهودي فأخبره ﷺ ثم قال «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه، حتى أتاني الله به**»(٣).

---

(١) (ما أصل الانسان) إجابات العلم والكتب المقدسة موريس بوكاي (ص:٢٠٣).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ١٠٦٤رقم:١٤٣٨).

(٣) صحيح مسلم كتاب الحيض باب بيان صفة مني الرجل، والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما (١/ ٢٥٢رقم: ٣١٥)

الشبهة الخامسة: منشأ ماء الرجل وماء المرأة هو الصلب والترائب

من الاشكالات التي طرحت أن القرآن ذكر أن منشأ الماء من بين الصلب والترائب، وقد وجدوا أن المسؤول عن تكوين هذا الماء هو خصية الرجل ولحقاتها، ومبيض المرأة، فما دور الصلب والترائب في ذلك.

والجواب:

ذكر الله ﷻ في سورة الطارق أن أصل خلق الانسان وأصل الماء الذي خلق منه يخرج من بين الصلب والترائب قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الطارق:٥-٧].

يقول الدكتور محمد علي البار: "تقول الآية الكريمة ان الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب. ونحن قد قلنا هذا الماء (المني) انما يتكون في الخصية وملحقاتها. كما تتكون البويضة في المبيض لدى المرأة. . . فكيف تتطابق الحقيقة العلمية مع الحقيقة القرآنية؟

إن الخصية والمبيض إنما يتكونان من الحدبة التناسلية بين صلب الجنين وترائب، والصلب هو العمود الفقري، والترائب هي الأضلاع، وتتكون الخصية والمبيض في هذه المنطقة بالضبط أي بين الصلب والترائب، ثم تنزل الخصية تدريجيا حتى تصل إلى كيس الصفن (خارج الجسم) في أواخر الشهر السابع من الحمل، وبينما ينزل المبيض إلى حوض المرأة ولا ينزل أسفل من ذلك.

ومع هذا فان تغذية الخصية والمبيض بالدماء والأعصاب واللمف تبقى من حيث أصلها، أي من بين الصلب والترائب، فشريان الخصية أو المبيض يأتي من الشريان الأبهر (الأورطي البطني) من بين الصلب والترائب كما أن وريد الخصية يصب في نفس المنطقة، يصب الوريد الأيسر في الوريد الكلوي الأيسر بينما يصب وريد الخصية الأيمن في الوريد الأجوف السفلي، وكذلك أوردة المبيض وشريانها تصب في نفس المنطقة أي بين الصلب والترائب، كما أن الأعصاب المغذية للخصية أو للمبيض تأتي من المجموعة العصبية

الموجودة تحت المعدة من بين الصلب والترائب، وكذلك الأوعية اللمفاوية تصب في نفس المنطقة أي بين الصلب والترائب.

فهل يبقى بعد كل هذا شك أن الخصية أو المبيض إنما تأخذ تغذيتها ودماءها وأعصابها من بين الصلب والترائب؟ فالحيوانات المنوية لدى الرجل أو البويضة لدى المرأة إنما تستقي مواد تكوينها من بين الصلب والترائب كما أن منشأها ومبدأها هو من بين الصلب والترائب.

والآية الكريمة اعجاز كامل حيث تقول من بين الصلب والترائب ولم تقل من الصلب والترائب، فكلمة بين ليست بلاغية فحسب وانما تعطي الدقة العلمية المتناهية"(١).

ولهذا نظائر كثيرة وردت في القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة النحل:٦٦].

وقد اختلفت أراء المفسرين في تعيين المراد بالصلب والترائب على أقوال:

فقيل: صلب الرجل وترائب المرأة.

وقيل: صلب الرجل وترائبه، وصلب المرأة وترائبها.

والصواب هو القول الثاني، كونهما يطلقان على كل من الرجل والمرأة، ثم إن منشأ الماء منها جميعاً كما مر معنا.

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: ١١٦).

الشبهة السادسة: لون ماء الرجل وماء المرأة؟

جاء في الحديث: «**ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنث بإذن الله**» . قال اليهودي: صدقت وإنك لنبي.

فميز ماء المرأة بكونه أصفر، وماء الرجل أبيض، وقد حاول بعض المشككين التشغيب على هذا اللفظ بقوله إن لون ماء المرأة أبيض مثل الرجل، وهذا مالا يتفق مع الحديث.

والخلل عند من يزعم هذا أنه لم يميز بين ما يخرج من المرأة، فكما أن الرجل يخرج منه عنده أشياء ويطلق عليها عدة مسميات (المني، المذي، الودي) ولكل خصائصه ومسبباته، فكذلك المرأة.

وتضمن الحديث عدة قضايا:

أولها: صفة ماء الرجل وهو أبيض وصفة ماء المرأة وانه أصفر، والتعبير عن ماء الرجل بالمني معروف وشائع، أما التعبير عن ماء المرأة بالمني فغير شائع.

يقول ابن القيم: " لمني الرجل خاصة الغلظ والبياض والخروج بدفق ودفع. فإن أراد من نفى مني المرأة انتفاء ذلك عنها أصاب، ومني المرأة خاصته الرقة والصفرة والسيلان بغير دفع فإن نفى ذلك عنها أخطأ "(١).

يعتبر الحديث إعجازاً علميا في قضيتين :

الأولي: صفات ماء الرجل وماء المرأة، فأوضح أن ماء الرجل أبيض غليظ وهو ما يراه و يعلمه عامة الناس، أما ماء المرأة فقد وصفته السنة المطهرة وصفا دقيقاً وأوضحت أن لونه أصفر، و لقد أثبت العلم الحديث أن الماء الذي يتدفق من جريب أو حويصلة جراف أثناء الإباضة يميل إلي اللون الأصفر، وهو يتدفق من المبيض حاملا معه البييضة الناضجة، و لقد سبق إثبات الإعجاز العلمي لهذه القضية.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص ٢٤٣).

الثانية : المسئولية المشتركة للرجل و المرأة في تحديد جنس الجنين، فعلو ماء أحدهما في الشحنة الكهربائية يكون سببا في أن يكتسب جنس من علا ماؤه، وهذا ما يثبته هذا البحث في ضوء المكتشفات العلمية الحديثة، وهذه الحقائق الحديثة كان من المستحيل معرفتها في ذلك الوقت، و لم يتم التوصل إليها إلا في وقت قريب جداً، وهذا يثبت صحة الحديث و يقدم دليلا علي صدق و نبوة الحبيب ﷺ و أنه مرسل من الله سبحانه وتعالي"(١).

والمراد بالماء الاصفر للمرأة هو الماء الذي يصدر من مبيض المرأة، وليس ما يخرج من المهبل، ذلك أنه اكتشف بواسطة العلم الحديث أن لون هذا الماء أصفر وذلك لان الحديث أقر أن ماء المرأة صفراء رقيقة و هي خصائص لا تتفق مع خصائص الافرازات المهبلية.

قد يقول قائل هل خصائص البويضة تتفق مع الخصائص التي ذكرها الحديث عن ماء المرأة؟

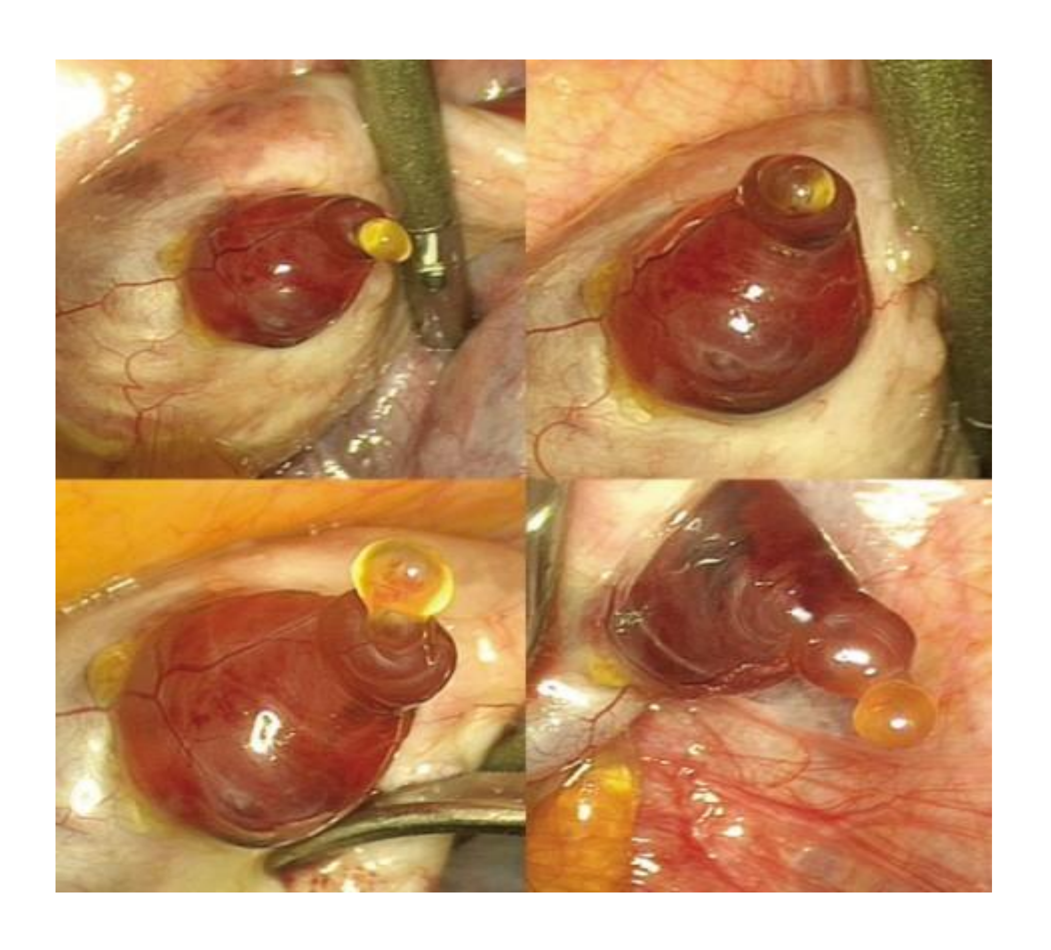
الإجابة نعم، وذلك لأنه يتدفق من حويصلة جراف بالمبيض ماء يحمل البويضة وهو أصفر اللون، وأن البويضة ذاتها تتكون أساسا من الماء وايضا أصفر اللون، وهى محاطة بطبقة سميكة من الخلايا " الجريبية" الصفراء اللون، ورقيقة حتى يستطيع الحيوان المنوى خرقها"(٢).

---

(١) الهيئة العالمية للإعجاز العلمي فى القرآن والسنة

(٢) http://antishobhat.blogspot.com/2012/10/blog-post_6791.html.

صورة حقيقية لبويضة أمرأة أثناء خروجها من المبيض



وهذا ما يتفق تماماً مع حديث النبي ﷺ، ويظهر أنه لا معارضة بين العلم الحديث القائم على التجربة والبرهان، وبين نصوص الوحي.

بل إن بعضهما مصدق لبعض، كيف لا!!! وخالق الكون وما فيه، هو المنزل القرآن على نبيه ﷺ، وهو القائل عن نبيه ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة النجم:٣-٤].

الشبهة السابعة: نفخ الروح في الجنين

فرق العلماء بين الحياة التي تكون في كل الموجودات، فذكروا أن منها حياة حيوانية، وهي الحياة التي يجتمع فيها مع النمو والحركة وجود الروح، وبين الحياة النباتية، والتي يكون فيها نمو وحركة وغذا من غير روح.

قال ابن القيم: "فإن قيل الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة وإحساس أم لا قيل كان فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات ولم تكن حركة نموه وإغتذائه بالإرادة فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسيته وإرادته إلى حركة نموه واغتذائه"(١).

وقد زعم البعض-وهم قلة جدا وإلا فالأغلب على أن النفخ بعد الاربعين على وجود خلاف بينهم- أن قلب الجنين ينبض في العشرين يوما الاولى(٢)، وهذا دال على وجود الروح.

لكن وللأسف لم يقدموا دليلاً علمياً على وجود الروح في هذه الفترة، ويمكن القول أن ذلك ممتنع من عدة أوجه.

أولاً: أن الحركة ليست دليلاً على وجود الروح، وأوضح مثال على ذلك الحيوان المنوي، والذي ينتقل الى رحم المرأة ثم يسبح إلى قناة فالوب بكل حيوية ونشاط، والكل متفق على أنه لا توجد فيه روح، فما الفرق بين حركته وحركة الجنين في بداية تخلقه؟

ثانياً: تقدم فيما مضى أن الحياة نوعين فمنها حيوانية وهي ما يكون فيها حركة ونمو بوجود الروح، وأخرى حيوانية وهي ما يكون فيها حركة ونمو بدون روح، ومن زعم وجود الروح في الجنين بمجرد الحركة والنمو فقوله معارض بالحس والمشاهدة والعلم.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٣٥١).

(٢) أولا هذا افتراء فمن خلال البحث لم يذكر أحد أنه ينبض في العشرين يوما الاولى

ثانيا هناك فرق بين الحياة الحيوانية والنباتية فقد ينموا الشي ويتغذى وليس فيه روح

الامر الاخر عندما يكون الشخص نائما فقلبه ينبض وبعض أعضاءه تعمل لكن أين الروح التي يحس بها ...

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: "والحياة نوعان: حياة الحيوان وحياة النبات فحياة الحيوان خاصتها الحس والحركة الإرادية وحياة النبات خاصتها النمو والاغتذاء"(١).

ثالثاً: أن العلماء أكدوا أن هناك فرقاً بين الحركة بعد نهاية الاسبوع الخامس وقبلها، وهو الوقت ما بعد نفخ الروح، وقد أكد ذلك الدكتور محمد البار في كتابه وفرق بين الحركات قبل نفخ الروح وبعدها وأن هناك فرقاً بينهما كبير، مع فارق بروز الاجهزة الحيوية في الانسان من كبد وغيرها : "

رابعاً: " كما أنه ليس هناك علاقة بين نبض قلب الجنين والخلاف القائم بين العلماء في وقت نفخ الروح في الجنين؛ لأن نبض قلب الجنين يبدأ في اليوم الثاني والعشرين من التلقيح! والذين يخالفون الجمهور في وقت نفخ الروح في الجنين يقولون إنه تُنفخ الروح في اليوم الأربعين فما بعده، وهذا يؤكد أن نبض قلب الجنين هو من الحركات اللاإرادية، وهي التي تدل على النمو لا على وجود الروح، والعلماء والأطباء يستدلون على حياة الجنين بالحركات الإرادية فحسب"(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢١/ ٩٨).

(٢) ينظر: https://islamqa.info/ar/165456.

ورد في حديث أنس في قصة اسلام عبد الله بن سلام عندما سأله عن: "أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**خبرني بهن آنفا جبريل**» قال: فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**»[١].

أن أنس بن مالك، حدثهم أن أم سليم، حدثت أنها سألت نبي الله صلى الله عليه وسلم عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأت ذلك المرأة فلتغتسل» فقالت أم سليم: واستحييت من ذلك، قالت: وهل يكون هذا؟ فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «**نعم، فمن أين يكون الشبه؟ إن ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فمن أيهما علا، أو سبق، يكون منه الشبه**»[٢].

---

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (٤/ ١٣٢رقم: ٣٣٢٩)

(٢) صحيح مسلم (١/ ٢٥٠).